اللغة بين الحياد والتحيز

د. شريف الألفي

الأكاديمية الوطنية للعلوم والمهارات، مصر

Sherif.mohammed@nassacademy.com

Sherifalalfy1@gmail.com

ملخص

هل اللغة التي نتحدثها محايدة في تعاملها مع كل من الذكر والأنثى؟ أم إنها تتحيز لصالح الذكر؟ فالحق أنه وُجد في العديد من اللغات التي تتبع أسرات لغوية متباينة أنها تنحاز لصالح الذكر، بل وتعتبر أن الذكر هو الأصل، وأن الأنثى مجرد استثناء، وكان من نتيجة ذلك أن استعملت ضمائر المذكر للدلالة على البشر جميعًا، بل وأجازت إطلاق ألفاظها المذكرة على الإناث! أما العكس فلا يجوز، وإن حدث اعتبرته أمرًا مهينًا، فمن دواعي الفخر للمرأة العربية مثلًا أن نقول: إنها امرأة بمئة رجل، لكن عند حدوث العكس حيث تشبيه الرجل بالمرأة عندها قد يقتتل الناس. ليبقى السؤال: هل اللغة تتحيز بالفعل؟ وهل تحيزها ينبع من تلقاء نفسها؟ فمن وراء هذا التحيز؟ وكيف يتم؟ وما هي مستوياته؟ وما الطريقة المثلى لتحييد اللغة؟

الكلمات المفتاحية: اللغة – الجنوسة – اللغة المتحيزة جنسيًّا – تحييد اللغة.

مقدمة

اللغة المتحيزة جنسيًّا Sexiest language هو مصطلح يستخدم للدلالة على مجال كبير من العناصر المختلفة، بدءًا من استخدام الضمائر الذكورية للدلالة على كل البشر، بما يعني أن الذكر هو الأصل، وأن المرأة مجرد استثناء. مرورًا باستخدام أسماء تطلق على المرأة، وهي في الواقع أسماء لأعضاء جسدها، مثل: ناهد. ونهاية يطلق هذا المصطلح على مجموعة المعتقدات السائدة حول المرأة، التي لا تتصل بشكل مباشر باللغة، وإنما تتصل بمستخدم اللغة، وذلك مثل: الاعتقاد العالمي بأن النساء لا تجيد قيادة السيارات.

وعلى ما سبق تصبح اللغة منحازة لصالح الذكر، حيث تظهر المرأة بشكل مهين، فقد نجد أن المفردات التي توضع للدلالة على المرأة تبدأ بمحتوى إيجابي، أو على أقل تقدير محتوى طبيعي / عادي، بيد أنه مع مرور الوقت تكتسب هذه الألفاظ دلالات سلبية، ثم غالبًا ما يستقر بها الحال لتصبح إيحاءات جنسية.

ومنذ عام 1960 والدوائر النسوية تتناول قضية التحيز اللغوي ضد المرأة، وبدأ العالم يتجه لما نسميه "تحييد اللغة"، الذي يعني تغيير طريقة تقديم المرأة في اللغة، والخطاب الإعلاني والصحفي، وكذلك داخل النصوص والتفاعلات الاجتماعية.

ليبقى السؤال: هل هناك بالفعل لغة متحيزة وأخرى محايدة؟ وإن كان فكيف تتحيز اللغة؟ وهل تحيزها يأتي من طبيعتها أم من مستعملها؟ فإذا اعترفنا أن المستخدم للغة هو المتحيز، فهل يكفي أن نغير الكلمات لنعيد للغة حيادها؟ فأين يكمن التحيز تحديدًا؟ هل هو في اللغة؟ أم في الخطاب؟ فإن كان في الخطاب، فكيف نعيد للخطاب اللغوي حياده؟ هل عن طريق تغيير بضع كلمات هنا وهناك؟ أم بتغيير عقلية صاحب الخطاب؟ وهل تحييد اللغة والخطاب وحتى عقلية المستخدم، هل كل هذا التحييد كاف لتحقيق العدالة اللغوية؟

1. اللغة وتصنيف الجنس

1.1 التصنيف

لا تسير اللغات على نهجٍ واحدٍ في تصنيفاتها للجنس، فهناك لغات تعطي تصنيفًا ثنائيًّا، وأخرى ثلاثيًّا، وأحيانًا أكثر من ذلك، بل وهناك من لا يملك تصنيفًا جنسيًّا من الأساس[(1)]؛ فالأسرة السامية – وابنتها العربية – تصنف الكلمات تصنيفًا ثنائيًّا (مذكر ومؤنث)، ولا تعرف المحايد إلا قليلًا[(2)]؛ وأضف إلى المجموعة السامية مجموعة اللغات الرومانسية: كالفرنسية، والإيطالية، والإسبانية ... وغيرها، والتي لا تفرد صنفًا للجمادات، وإنما تلحقها بأحد الجنسين؛ وهناك أيضًا مجموعة من اللغات الإفريقية، والهندية الأمريكية مثل: الألجونكوين Algonquian والتي تتبنى التصنيف الثنائي، لكن بطريقة غير طريقة المذكر والمؤنث، فهذه اللغات تضع كلًّا من الناس والحيوانات تحت صنف "الجنس الحي"، وباقي الأشياء تحت صنف "الجنس غير الحي"؛ ومن هذه اللغات ما يضع الرجال والأشياء الكبيرة تحت صنف، ثم يضع النساء والأشياء الصغيرة تحت صنف آخر(مختار 1996:51). أما اللغات التي تعتمد التصنيف الثلاثي (مذكر ومؤنث ومحايد) فهي أسرة اللغات الهند–أوربية، كالإنكليزية، واللاتينية، والروسية، والسنسكريتية ... وغيرها. أما مجموعة البانتو في جنوب إفريقيا فتصنف الجنس إلى عشرين صنفًا، وذلك على أساس من الجنس الطبيعي، ونواحي من الحجم، الشكل، الطبقة الاجتماعية ... وغيرها (مختار 1996:52)

وقد لوحظ أن اللغات عبر القرون تغير من نظامها التصنيفي للجنس، فقد انخفض النظام التصنيفي من ثلاثي إلى ثنائي في اللغات الرومانسية المنحدرة عن اللاتينية، وذلك كالفرنسية، والإسبانية، والبرتغالية ... وغيرها.

والحق أنه لا يوجد سوى عدد قليل من الثلاثة آلاف لغة المعروفة اليوم له أشكال نحوية تراعي الجنس اللغوي (Adler 1978:1)؛ وقد ثبت أن بعض اللغات التي كانت تملك تمييزًا جنسيًّا في قواعدها النحوية قد فقدته فيما بعد، وذلك مثل: الفارسية الحديثة؛ كما ثبت أنه لا توجد أية لغة فقدت نظام الجنس النحوي قد أعادته عند مرحلة متأخرة من تاريخها (Penalosa 1981:129).

1.2 التعبير عن الصنف (المذكر/المؤنث)

تلجأ اللغات إلى وسائل متعددة للتعبير عن أصناف الجنس، وقد تجمع اللغة الواحدة بين أكثر من طريقة، والتالي عرض لطرق التعبير عن الجنس النحوي في اللغات المختلفة:

- التعبير عن طريق (الخلو من / الاشتمال على) علامة تأنيث: هناك لغات تفرق بين المذكر والمؤنث عن طريق خلو المذكر من علامة التأنيث، واشتمال المؤنث على سابقة أو لاحقة معينة للتعبير عن أنوثته، ومن هذه اللغات اللغة العربية، والتي تعبر عن المؤنث بسوابق ولواحق معينة، فمن السوابق: تاء المضارعة (مثل: تلعب)؛ ومن اللواحق: تاء التأنيث (مثل: لعبت – صغيرة)، وألف التأنيث المقصورة (مثل: صغرى)، وألف التأنيث الممدودة (مثل: صحراء)، ونون النسوة (مثل: كتبن)، والكسرة (مثل: أنتِ)[3]؛ وبعيدًا عن العربية، نجد أن اللغة الفرنسية من ضمن اللغات التي تعبر عن الجنس بالسوابق واللواحق، والتي تميز بين المذكر والمؤنث بالسابقتين: (le) للمذكر، و(la) للمؤنث، (مثل: le soleil = الشمس)، و(la lune = القمر)، وتميز أيضًا عن طريق لواحق معينة (مثل: e, –esse–)؛ كما نجد اللغة الإنكليزية تفرق بين المذكر والمؤنث بلواحق معينة (مثل: ess–، ette–)، كما في الكلمات التالية: (Majorette, Actress)؛ وكذلك تفعل اللغة الألمانية، والتالي لواحقها: (ette, –euse, –essjeji–)، إلا أن الأكثر ترددًا بها – خاصة في مجال الوظائف – هي اللاحقة /in–/ مثل: (pilotin = طيار امرأة، polizistin = شرطية)؛ وأيضًا من تلك اللغات اللغة الدنماركية، وهذه هي لواحقها: (ster, –e, –in, –euse, –a–)؛ والتالي لواحق الروسية: (ɑ–، я–)؛ وإذا كانت اللغات السابقة جميعها تخص الأنثى بالعلامة، وذلك على اعتبار أن الذكورة هي الأصل، فإننا قد نجد لغات – في بعض الأحيان – تعكس الوضع فتخص الذكر بالعلامة، وقتها يصبح اللفظ المؤنث هو الأصل، وذلك كالمثال التالي من اللغة البرتغالية: (irmã = أخت / iramão = أخ).
- التعبير عن طريق استخدام لفظ مختلف لكل جنس: وهذا هو الأصل، وهو التمييز بين المذكر والمؤنث بالعلامة اللغوية، فالأصل أن يوضع لكل مؤنث لفظ غير لفظ المذكر، ويبدو أن هذا كان متحققًا في البدء، لكن لعل مخافة الناس من أن تكثر عليهم الألفاظ هو ما ألجأهم إلى العلامة النحوية بديلًا عن العلامة اللغوية؛ فالتعبير عن المذكر والمؤنث بوضع لفظ لكل جنس متحقق في كثير من اللغات، كاللغات الهند–

أوربية، ومنها الإنكليزية: (Father/Mother)، (Boy/Girl)، والألمانية: (Sonn/Tochter = ابن/ابنة)، والدنماركية: (Broder/Syster = أخ/أخت)؛ وكذلك فهو متحقق في المجموعة الرومانسية، كالفرنسية: (Homme/Femme = رجل/امرأة)، والإيطالية: (Fratello/Sorella = أخ/أخت)، والبرتغالية: (Homem/Mulher = رجل/امرأة)؛ وأيضًا متحقق في الأسرة السامية، ففي العربية نجد: (ذكر/أنثى، ولد/بنت، حمار/أتان)، وفي العبرية نجد: (ayil = كبش/ rahel = نعجة)، وفي السيريانية نجد: (gadya = جدي/ ezza = عنزة)، وهما في الآشورية: (enzu/gadu)؛ على أن العربية في كثير من الأحايين تجمع بين العلامة اللغوية والعلامة النحوية، وذلك حرصًا منها على البيان وتأكيد أنوثة اللفظ، مثل قولهم: (كبش/نعجة، جمل/ناقة، قط/هرة).

- التعبير عن طريق الإضافة: وهنا نعبر عن الجنس عن طريق إضافة كلمة ثانية إلى الكلمة الأولى لتدل على جنسها، وذلك إذا كانت الكلمة بمفردها لا تدل على جنس معين أو تدل على جنس دون آخر، ولا يمكن إلحاق أي من السوابق أو اللواحق التي تُعين على التعرف على جنسها المراد، مثل: أنثى الفيل (في العربية)، lady doctor (في الإنكليزية)، une femme medecin (في الفرنسية).

2. الجنس النحوي والجنس الطبيعي

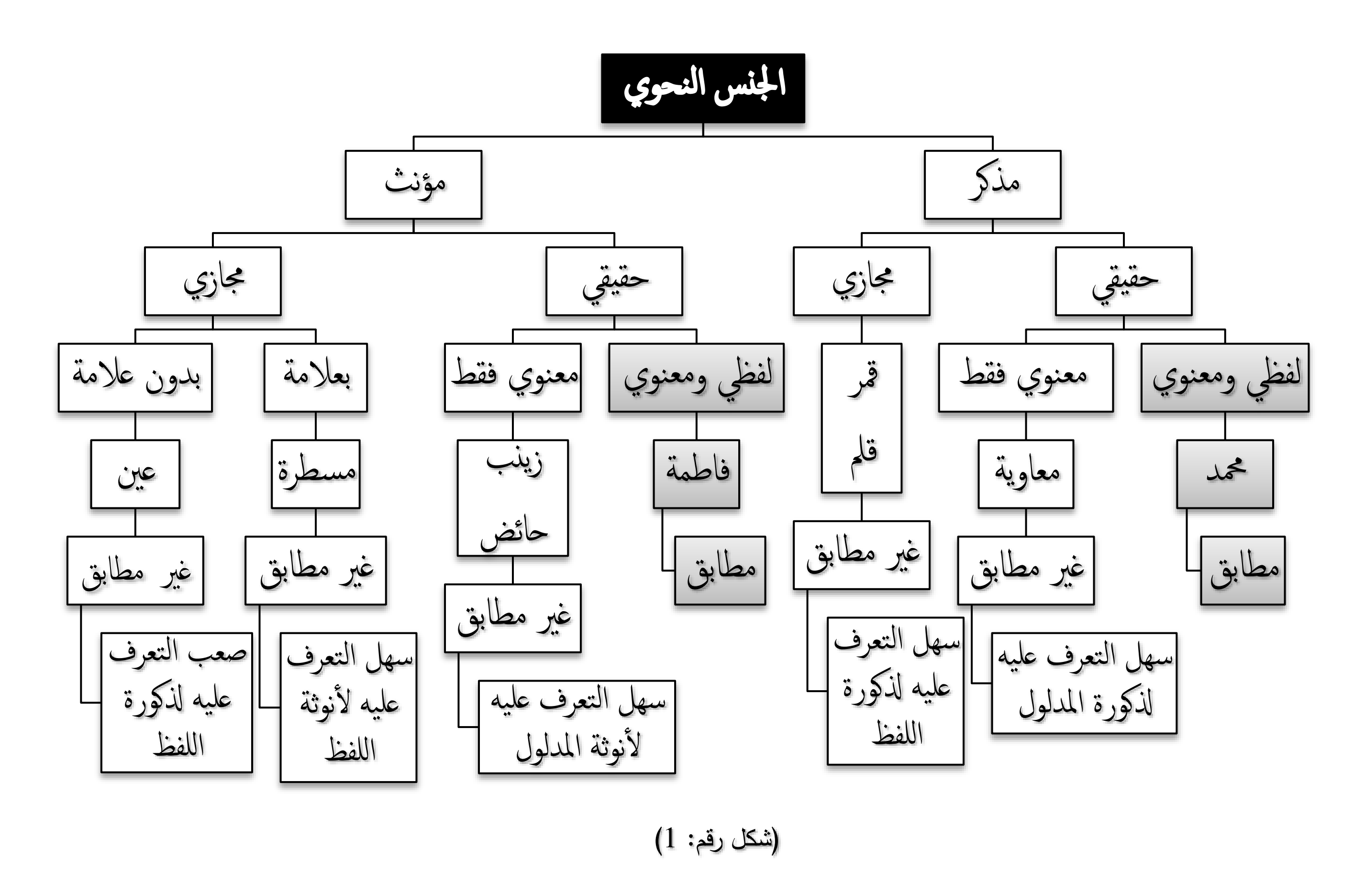
قلنا إن العربية من اللغات التي تقسم الجنس النحوي إلى قسمين (مذكر ومؤنث)، فهل يتطابق هذا الجنس النحوي مع الجنس الطبيعي؟ بمعنى هل المذكر / المؤنث اللغوي يعود على ذكر حقيقي / أنثى حقيقية؟ والإجابة: لا، ليس دائمًا؛ لكن هذا الخلل ليس في العربية وحدها، بل في كل اللغات تقريبًا، ففي كثير من اللغات نجد المذكر النحوي قد يعود على مذكر حقيقي أو مجازي، وكذلك المؤنث النحوي قد يعود على مؤنث حقيقي أو مجازي.

وهنا يصبح السؤال: ما هو المذكّر الحقيقي؟ وما الفارق بينه وبين المذكر المجازي؟ إن المذكّر الحقيقي هو كل لفظٍ مذكرٍ يعود على ما يملك عضو ذكورة (مثل: رجل – أسد)، فهنا نجد أن الجنس النحوي تطابق والجنس الطبيعي، لكن في أمثلة أخرى (مثل: معاوية – قلم)، نجد عدم المطابقة بين الجنس النحوي والجنس

الطبيعي، لأن المثال الأول لفظه مؤنث لكنه يعود على ذكر حقيقي، والمثال الثاني لفظه مذكر لكنه لا يعود على ذكر حقيقي، وعليه تصبح هذه الكلمات من المذكر المجازي.

أما المؤنث الحقيقي فهو كل لفظٍ مؤنثٍ يعود ما يملك فرج أنثى، أو بمعنى آخر: هو لفظ مؤنث يعود على كل ما يلد أو يبيض (مثل: امرأة – دجاجة)؛ وكالسابق، ففي هذين المثالين نجد التطابق متحققًا بين الجنس النحوي والجنس الطبيعي؛ لكن في أمثلة أخرى (مثل: حائض – مسطرة) تختل المطابقة، فالأول مذكر لفظًا، على الرغم من أنه يعود على أنثى حقيقية، والثاني مؤنث لفظًا، على الرغم من أنه لا يعود على أنثى حقيقية، وعليه تصبح هذه الكلمات من المؤنث المجازي.

والشكل التالي يوضح مدى المطابقة بين الجنس النحوي والجنس الطبيعي في اللغة العربية:



(شكل رقم: 1)

ومن الشكل الشجري السابق يتضح أنه لا تحدث مطابقة في اللغة العربية بين الجنس الطبيعي والجنس النحوي إلا في فرعين فقط من أفرع الشكل، أما باقي الأفرع فلا يتطابق فيها الجنس النحوي مع الجنس الطبيعي، وينتج عن ذلك مشكلة التعرف على المؤنث المجازي الخالي من العلامة بخاصة، فإذا كان من

السهل التعرف على المؤنث الحقيقي وإن خلا من العلامة، وذلك لأن معناه يسهل أمر التعرف على أنوثته، فإنه من العسير التعرف على المؤنث المجازي الخالي من العلامة مثل: العين، وذلك لأن الخلو من العلامة جعل اللفظ يشبه الألفاظ المذكرة، ويضاف إلى ذلك معناه غير المؤنث حقيقةً، ومن ثمّ يصبح السؤال: من أين جاءته الأنوثة؟ والإجابة: جاءته من الرواية عن بعض العرب لا أكثر، لأنه لا يوجد أي منطق عقلي في تأنيث هذا القسم؛ لذا أصبح من السهل أن تفقد بعض هذه المؤنثات فكرة التأنيث في أذهان الناس حاليًّا، وأصبح يُستخدم كثير منها استخدام المذكر، فالمصريون يُذكّرون الآن: الذراع – الإصبع – القدم – السوق – الأرنب – الضبع – العقرب – العِرس – الفأس – العُقاب ... إلخ، كما أنهم عمدوا إلى بعضها الآخر وركّبوا فيه تاء التأنيث للتأكيد على أنوثته، مثل قولهم: (خَمرَة – سِكّينة – كِبدة)؛ ولم يبق من هذه الكلمات إلا القليل الذي استمر مرتبطًا في أذهاننا بفكرة التأنيث (مثل: رِجل – يد – عين).

ولأن المؤنث المجازي الخالي من العلامة من أصعب أقسام التذكير والتأنيث من حيث التعرف عليه، وكثيرًا ما يحدث فيه الخلط، وجدنا العلماء الذين ألفوا في المذكر والمؤنث يفردون له النصيب الأوفر من مؤلفاتهم[4]، وذلك مثلما فعل أبو البركات بن الأنباري (ت:577هـ) في بُلغته، حيث أسهب الرجل في الحديث عن المؤنث المجازي الخالي من العلامة، حيث اضطربت المراجع العربية في الحكم على كلمات من مثل: (النحل – العنكبوت – السبيل – الطريق – السكين – البئر ... إلخ). والتالي شكل يوضح مدى اضطراب أقوال علماء العربية في المؤنث المجازي الخالي من العلامة:

يتساوى فيه التذكير والتأنيث	• السبيل – الطريق – الطاغوت – السكين – البئر .
مؤنث يجوز فيه التذكير	• النحل – العنكبوت – الدلو.
يذكر ويؤنث لكن التأنيث أكثر	• القفا – الأضحى – الكُراع.
يذكر ويؤنث لكن التذكير أكثر	• الإبط - العنق - القَلِيب.
يؤنث ويذكر حسب معناه	• الدرع: بمعنى الحديد مؤنث، لكن درع المرأة مذكر. • اللسان: بمعنى العضو مذكر، لكن بمعنى اللغة مؤنث.

(شكل رقم: 2)

والحق أن تذكير وتأنيث الجمادات وأسماء المعاني تسير في اللغات جمعاء باعتباطية شديدة، فالشمس – مثلًا – مؤنثة في العربية، مذكرة في الآشورية، وجائزة الأمرين في العبرية، واللغتان الأخيرتان أختان للعربية من حيث عضويتهما في الأسرة السامية، إلا أنهما لم يتفقا معها، ولا حتى مع بعضهما البعض؛ وقل نفس الأمر في باقي الأسرات اللغوية، فـ (die sonne) مؤنثة في الألمانية، مذكرة في الإنكليزية (Sun)، واللغتان من نفس الأسرة (الأنجلوسكسونية)، وبينما نجد الإنكليزية تخالف أختها الألمانية نراها توافق لغات من الأسرة اللاتينية، كالفرنسية، والإيطالية، والإسبانية، فجميعها يذكّر الشمس؛ وإذا كان هناك لغات تذكّر الشمس وأخرى تؤنثها فإننا لن نعدم لغات تجعل الشمس من المحايد، كاللغات السلافية ومنها: الروسية، والبولندية، والبلغارية؛ بيد أن الأمر لا يقتصر على اللغات داخل الأسرة اللغوية الواحدة، بل إنه يمتد داخل اللغة الواحدة عينها، فـ(الشعير) في العربية مذكر، لكن قال الزجاج (ت: 311هـ): "أهل نجد تؤنثه" (الفيومي 315/1)، و(الإصبع) مؤنثة عند العرب جميعهم، لكن أسد تذكّرها، و(البقرة) مؤنثة في الحجاز مذكّرة عند نجد، و(الثمر) يذكّره الحجاز ويؤنثه غيرهم (ابن التستري 1983:52)، و(التمر والبُسر) يؤنثه الحجاز ويذكره غيرهم، و(الهَدي) يذكره جميع العرب إلا أسد يؤنثونه، وقال الفراء (ت: 207هـ) : "(الحال) أنثى لكن أهل الحجاز يذكرونها" (عبد التواب 1970:49)

وقد حاول علماء العربية تقعيد تلك الاعتباطية فقالوا – مثلًا – أن أعضاء البدن الثنائية مؤنثة (مختار 1996:76)، غير أننا نجد أعضاء في البدن غير ثنائية ومؤنثة أيضًا، كـ(السن / الكبد / الإصبع)، ونجد أعضاء غير ثنائية ويجوز فيها التأنيث، كـ(اللسان / القفا / العنق)، بل نجد أعضاء من البدن ثنائية ولكنها مذكرة، كـ(الحاجب / الخد / الثدي / الكوع)، كما توجد أعضاء ثنائية ويجوز فيها التذكير أيضًا (مثل: الذراع / الإبط)؛ وقال النحويون أن الكلمة الثلاثية المؤنثة (مثل: عين) إذا صُغرت يجب إلحاق تاء التأنيث بها، فتصبح: (عيينة) (ابن الأنباري 1970:84)، إلا أننا نجد كلمات ثلاثية مؤنثة وقد صغرت دون إلحاق تاء التأنيث بها، مثل: درع ← دريع، قوس ← قويس، حرب ← حريب؛ وهناك قاعدة تقول أن كل ما في رأس الإنسان من اسم لا هاء فيه فهو مذكر، إلا ثلاثة وهي: (العين / الأذن / السن) فهي مؤنثة (ابن التستري 1983:49)، لكننا نجد أيضًا: (اللسان / القفا / العنق)، وكلها في الرأس، ولا هاء فيها، وعلى الرغم من ذلك يجوز تأنيثها؛ وعندما وجد علماء العربية أن هناك كلمات مؤنثة لكن جاء استعمالها مذكرًا، وأخرى مذكرة جاء

استعمالها مؤنثًا أرادوا التخلص من تلك الاعتباطية أيضًا فقالوا: إنما ذكّر أو أنّث بالحمل على المعنى، بمعنى أن كلمة (نفس) مؤنثة، فإن وردت مذكرة فهو حمل على معناها، وهو الشخص أو الإنسان، وإن كان هذا صحيحًا[5] فيجوز وقتها تذكير كل مؤنث مجازي حملًا على معناه. لكن لعل الأصوب من ذلك هو القول بجواز تذكير المؤنث المجازي الخالي من العلامة مطلقًا، وأيد ذلك المبرد (ت:286هـ) حين قال: "ما لم يكن فيه علامة تأنيث، وكان غير حقيقي التأنيث، فلك تذكيره، مثل: هذا نار" (النحاس 1988: 213/5)؛ على أن هذه الاعتباطية ليست حكرًا على العربية فحسب، ففي البرتغالية نجد الكلمات المنتهية بـ /or–/ مذكرة، مثل: (amor = حب، calor = كره)، وعلى الرغم من ذلك نجد كلمات بها نفس اللاحقة لكنها مؤنثة مثل: (flor = زهرة، cor = لون، dor = ألم).

بيد أننا لا نكون ظالمين إن ادعينا أن أمر اعتباطية التذكير والتأنيث لا يقف عند حد أسماء الجمادات والمعاني أو ما يسمى بالمذكر / المؤنث المجازي، بل يمتد إلى الكائن الحي وهو المذكر / المؤنث الحقيقي، والدليل أن كلمة (weib = زوجة) الألمانية تصنف من المحايد على الرغم من أنها أنثى حقيقية، والألمانية إذ تُحيّد الزوجة نجدها تذكّر (الحجر der stein، والمطر der regen، والشاي der tee)، وتؤنث (الباب die tur، واللبن die milch)! ومثل كلمة (weib) الألمانية كلمة (дитя = طفل) الروسية، فهي من المحايد أيضًا، لا ذكر ولا أنثى! ومن معلوم أن هناك لاحقتين في البرتغالية تميز بين المذكر والمؤنث، وهما: (o–) للمذكر، و(a–) للمؤنث، لكننا نجد كلمات تعود على مذكر حقيقي وتلحق بها علامة التأنيث مثل: (poet<u>a</u> = شاعر)، والعكس صحيح، فنجد كلمات مؤنثة لكن تلحق بها علامة التذكير مثل: (Trib<u>o</u> = قبيلة)؛ وفي العربية (نحلة – شجرة – ثمرة – نخلة – حية – حمامة – جرادة – بقرة) مؤنثات جميعها، إلا أنها تطلق على جميع أفراد الجنس، الذكور والإناث، بل إن كلمات من مثل: (ضحية – رهينة – راوية – علّامة – رِبعة – عياياء – خنثى – جرحى – سكرى – مرضى) كلها مؤنث، وعلى الرغم من ذلك تطلق وصفًا للذكر الحقيقي، هذا في حين أن (حائض – حامل – طالق – طامث – عجوز – صبور – هند – دعد – أتان) كلها مذكرة، غير أنها تعود على الأنثى الحقيقية، كما أن كلمة (شمس) المؤنثة في العربية قد تصبح علمًا لذكر، وكلمة (أمل) المذكرة في العربية قد تصير علمًا لأنثى؛ والأدهى من كل ما سبق أن عضو الأنوثة وهو (الفرج – البظر – الرحم – المهبل – الخشنفل – الكوم – الرزاحي – الفلقم – الفلهم) مذكر في العربية! ولعضو الذكورة

عند الرجل مؤنثات عدة منها: (الحشفة – الفَيْشَة – الدوقلة – الكَمَرة – القنفاء – الحُرْثَة – الحوقاء – الكبساء – الكُمَّهدة)! (ابن سيده 1996: 161/1) إن المتأمل لجميع ما سبق يعلم أن الحق مع ابن التستري (ت:361هـ) حين قال: "ليس يجري أمر المذكر والمؤنث على قياس مطرد، وليس لهما باب يحصرهما" (ابن التستري ص: 47)، ومع أبي علي مسكويه (ت:421هـ) أيضًا، وذلك حين رد على سؤال لأبي حيان التوحيدي (ت:400هـ) حول علة تذكير القمر وتأنيث الشمس فقال: "أما النحويون فلا يعللون هذه الأمور، ويذكرون أن الشيء المذكر بالحقيقة ربما أنثته العرب، والمؤنث بالحقيقة ربما ذكّرته العرب" (مسكويه 2001:303). فلو علمنا لماذا أسمينا الشجرة شجرةً والفيل فيلًا؟ وقتها سنعلم لماذا ذكرنا هذا وأنثنا تلك؟ والجواب: إننا قد أسمينا الشجرة شجرةً والفيل فيلًا لا لشيء، وإنما بداعي الاعتباطية؛ عندئذ نقول مطمئنين أننا قد أنثنا الأولى وذكّرنا الثاني لا لشيء، وإنما لنفس الداعي. والذي ألجأنا إلى تلك النتيجة هو ديدن اللغات التي تذكر المؤنث، وتؤنث المذكر؛ فالعربية قد تذكّر المؤنث الحقيقي، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ [يوسف: 30]، وقد تؤنث المذكر الحقيقي، قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ﴾ [الشعراء: 160]، فضلًا عن مجازي التذكير / التأنيث، قال تعالى: ﴿ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا ﴾ [الفرقان: 49]، وقال: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ ﴾ [الأعراف: 56]، ﴿ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورى: 17]، ﴿ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ﴾ [المزمل: 18]. وعلى ما سبق نصل إلى نتيجة مؤداها أن الجنس النحوي ليس بالضرورة أن يوافق الجنس الطبيعي إلا في قليل، وتلك النتيجة ليست حكرًا على لغة دون أخرى وإنما متحققة في كل اللغات الحية تقريبًا.

3. التحيز اللغوي Linguistic bias / اللغة المتحيزة جنسيًّا Sexiest language

في البدء لا بد من التمييز بين ثلاثة مفاهيم قد يختلط أمرها على المرء ويعتقد أنها مترادفة، وهذه المفاهيم هي: الانحياز اللغوي linguistic prejudice، اللامساواة اللغوية linguistic inequality، التحيز اللغوي linguistic bias أو ما يعرف باللغة المتحيزة جنسيًّا sexiest language.

3.1 الانحياز اللغوي linguistic prejudice

ويعرف بأنه انحياز المرء لنمط كلامي / سلوك لغوي معين، وذلك كرمز لانتمائه إلى جماعة معينة، فاللغة قد تستخدم كرمز للانتماء إلى جماعات بعينها، والناس يستخدمون الكلام ليحددوا الجماعة الاجتماعية التي ينتمون إليها، أو حتى التي يرغبون في الانضمام لها، وبالتالي يقوم الآخرون بتصنيف المتحدث حسب لغته، ومن ثمّ يقييمونه حسب تقييمهم لهذه الجماعات؛ وحين يقوم المرء بفعل انتسابه إلى جماعة ما ويتبنى أنماطها الكلامية تتحول نظرة العضو إلى هذه الجماعة لتشكل نظرته لذاته، ويصبح من الصعب عليه أن يحوّل ولاءه إلى جماعة أخرى، لكن لحسن الحظ تسمح الطبيعة المتعددة الأبعاد لظاهرة التباين اللغوي لدى الفرد من أن ينتمي إلى عدد مختلف من الجماعات في آن واحد، فيمكن للفرد أن يحتفظ بلكنة جماعة / طبقة معينة في نفس الوقت الذي يتبنى فيه تراكيب ومفردات جماعة / طبقة أخرى، غير أن هناك حدودًا لدرجة المرونة المسموح بها، فغالبًا ما تكون الروابط النفسية التي تربط الفرد بالجماعة التي ينتمي إليها – في فترة معينة – من القوة بحيث تضمن ولاء الفرد لأنماطها الكلامية حتى يحين الوقت لانتقاله إلى جماعة أخرى (هدسن 1990:304)؛ والقول بأن الأفراد يودون أن يعتقدوا أنهم ينتمون إلى جماعة ذات مكانة عالية أو ذات قيمة أعلى يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمسألة الانحياز اللغوي، فمن الوسائل التي يلجأ إليها الناس لأقناع أنفسهم بأن جماعتهم أفضل الجماعات هي البحث عن خصائص تميز جماعتهم فتبدو أفضل من الجماعات الأخرى عند المقارنة، ومن ضمن تلك الخصائص المميزة: السلوك اللغوي للجماعة، فقديمًا اعتقدت قريش بأن لهجتها أفضل اللهجات، واعتقد العرب أن لغتهم أسمى اللغات، ومن قبل قالت اليهود في العبرية ما قالته العرب في العربية، فهذه إحدى الطرق المستخدمة لرفع احترام الجماعة لذاتها.

3.2 اللامساواة اللغوية linguistic inequality

وهي ثلاثة أنواع:

- لامساواة ذاتية subjective: وسميت بذلك لأنها تختص بدراسة رأي الناس الذاتي / الشخصي في كلام الآخرين، فالناس تُصنَّف في بعض المجتمعات من حيث درجة ذكائهم، وفطنتهم، وصفات أخرى كثيرة وفقًا للطريقة التي يتحدثون بها، على الرغم من أن كثيرًا من هذه الأحكام المعتمدة على طريقة التحدث تكون خاطئة للغاية، لذا فقد يُعتقَد أن بعض المتحدثين يتمتعون بقدر من الصفات الحميدة تفوق ما لديهم فعلًا، وذلك لأنهم يتحدثون بالطريقة الصحيحة (هدسن 1990:299)، وعلى النقيض من ذلك، فنجد آخرين يُعتقَد بأنهم دون المستوى لا لشيء إلا لأن حديثهم يعطي هذا الانطباع.
- لامساواة بحتة strictly: وهي ترتبط بالوحدات اللغوية التي يعرفها الفرد، فلا يتساوى الناس في كمّ الوحدات اللغوية التي يعرفونها، لأن هذه الوحدات تعكس نوعية التجارب التي مر بها المرء، لذا نجد ذوي التجارب والخبرات المختلفة يعرفون نوعيات مختلفة من الوحدات اللغوية، وكلما قلّت التجارب والخبرات قلّت الوحدات اللغوية المعروفة، فالبعض لديه حصيلة ضخمة من الصيغ العلمية أو المصطلحات في مجال معين في حين نجده لا يعرف إلا القليل من المصطلحات خارج هذا المجال.
- لامساواة اتصالية communicative: وهي مرتبطة بمعرفة كيفية استخدام الوحدات اللغوية لإتمام عملية الاتصال بنجاح، فالناس لا يتساوون في اختيار البدائل اللغوية المناسبة عند التعامل مع الآخرين.

3.3 التحيز اللغوي linguistic bias أو اللغة المتحيزة جنسيًا sexiest language

وهو مصطلح يستخدم للدلالة على مجال واسع من العناصر المختلفة، بدءًا من استخدام الضمائر العامة generic pronouns (مثل : واو الجماعة / he) للدلالة على جميع البشر من ذكور وإناث، وفي هذا استبعاد للمرأة، وافتراض أن الذكورة هي الأساس والأنثى استثناء، ومرورًا بنهايات كلمات (مثل: ة / ess−) للإشارة إلى المرأة، وأسماء تشير للذكر والأنثى (مثل: أسد / لبوءة، قابل / قابلة، Master/Mistress) ولكنها تملك مستويات مختلفة من المعاني، وصفات تختلف عند استعمالها للرجل عن المرأة (مثل: فَيْلَم[6] / Professional[7])، وأسماء تطلق على المرأة وهي في الحقيقة أسماء لأعضاء جسدها (مثل: ناهد / كاعب)؛ ونهايةً يطلق هذا

المصطلح على مجموعة المعتقدات والأفكار المقولبة حول المرأة، والتي لا تتصل بشكل مباشر باللغة، وإنما تتصل بمستخدمها، مثل الاعتقاد العالمي – تقريبًا – بأن المرأة لا تجيد قيادة السيارات (Mills 2008:10).

وعلى جميع ما سبق تصبح اللغة المتحيزة جنسيًّا هي اللغة – وإن كان الأدق أن نقول هي الاستعمال اللغوي[8] – التي تنحاز لصالح الذكر، وتُظهر المرأة بشكل مهين، سواء كان ذلك في كلمة، أو في جملة، أو في خطاب كامل. ولعل أوضح دليل على ذلك الاستعمال اللغوي المتحيز هو اعتبار الناس أن من الإهانة نعت الرجل بكونه امرأة، في حين أنه ليس من الإهانة أبدًا – بل ربما من دواعي الفخر – أن تنعت المرأة بأنها رجل وتقف وقفة رجال، وهذا متحقق في العربية كما هو متحقق في الإنكليزية، فقارن ردة فعل رجل خاطبته بقولك: أنت امرأة، بردة فعل امرأة خاطبتها بقولك: أنت بمئة رجل؛ وفي الإنكليزية كذلك، فمن الإهانة أن تقول للرجل: don't be such a girl / an old lady

4. مستويات الاستعمال اللغوي المتحيز

4.1 التحيز على مستوى الضمير

تتضح هذه الظاهرة عند استخدام ضمير الجمع المذكر في العربية (الواو) للتعبير عن الإنسان عامة، ذكرًا كان أم أنثى، مثل قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرْ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [البقرة: 25]، وقوله ﷻ: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ ﴾ [البقرة: 153]، وقوله ﷻ: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ﴾ [النساء: 59] ومعلوم أن الذين آمنوا، وتبشير الرسول ﷺ، وطلب الاستعانة بالصبر والطاعة كلها أمور لا تخص الرجال وحدهم، ولكنها موجهة إلى الجميع، بما في ذلك النساء، غير أنه ضمّن النساء داخل الصيغة المذكرة[9]؛ ونفس الظاهرة تحدث في اللغة الإنكليزية، لكن باستخدام ضمير المفرد المذكر (he) من أجل التعبير عن الناس جميعًا (مثل: Anyperson who knows what he says …/ everybody loves his mother.) ، ولقد أكد هذه الظاهرة جون كيربي Kirby, J. (1746) في كتابه عن "القواعد الجديدة للغة الإنكليزية A New English Grammer" حين قال: "إنه (يقصد he) الضمير الوحيد الذي يعبر ويفهم منه الإنسان في عمومه"(kirby 1971:117). على أن هذه الظاهرة لا تتوقف عند حدود العربية والإنكليزية، بل نجد لها نظيرًا في اللغات الأخرى، ومنها الصينية، حيث 他 / (ta) = هو، فالكلمة

بنفس النطق قد تعني (هي) أيضًا، ولا نحتاج لأي تمييز نطقي كي نشير إلى الذكر أو الأنثى عند استخدام ضمير الغائب في الصينية (Xiaoping 2008:31)

4.2 التحيز على مستوى المفردات

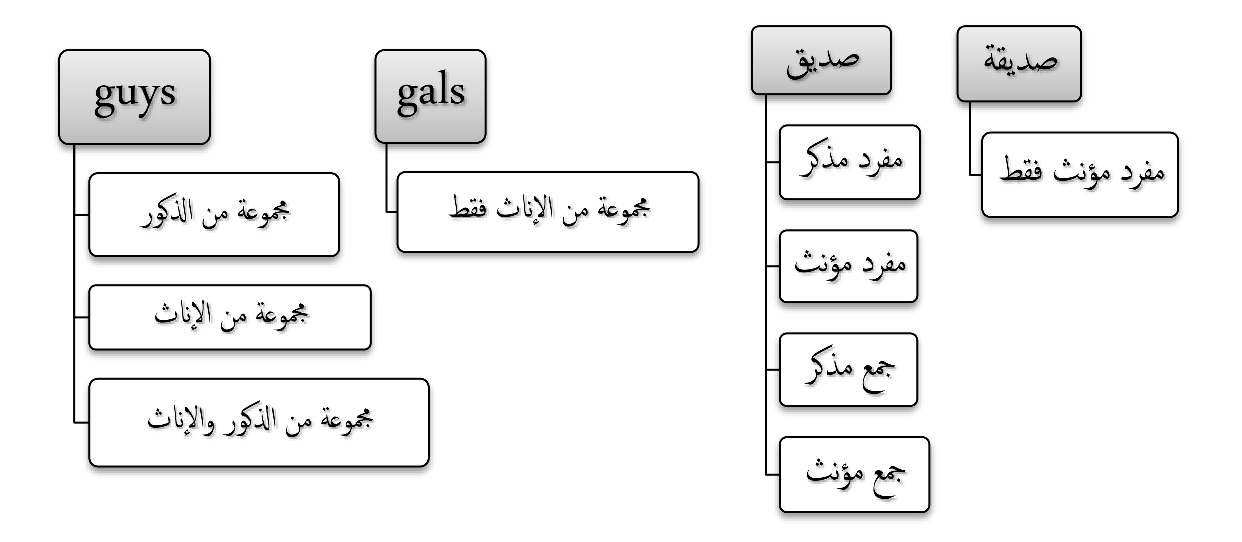
وكالسابق، فقد توجد مفردات مذكرة تصلح لأن تطلق على كلا الجنسين، فإن كان من الغريب إطلاق كلمة (صديق) – وهي مفرد مذكر – على جمع الذكور، وذلك مثل قول قَعْنَب بن أم صاحب: ما بال قوم صديق ... (الزبيدي 26/8)، فالأغرب من ذلك هو أن هذه الكلمة المفردة المذكرة تطلق أيضًا على المفرد المؤنث، بل وعلى جمع الإناث كذلك، فلك أن تقول: امرأة صديق (الفيومي 336/1)، وأن تقول: هن صديق (الوسيط 511/1)، ومن الأدلة التي تساق على هذا الاستخدام قول أوس بن حجر:

إذا الناس ناسٌ والزمان بعِزَّة ... وإذ أم عمار صديقٌ مُساعف (ابن حجر 1980:74)

وهنا نجد أوس استخدمها خبرًا لمفرد مؤنث، كما استخدمها جرير (ت: 110هـ) خبرًا لجمع المؤنث فقال:

دعون الهوى ثم ارتمين قلوبَنا ... بأسهم أعداء وهن صديق (جرير 1986:315)

وتشبه كلمة (صديق) العربية كلمة (guys) الإنكليزية، فهي أيضًا مذكرة، لكنها قد تطلق على الجميع، من ذكور وإناث، وهذا بدوره يثبت أننا إذ نستخدم كلمات مذكرة لتدل على الناس بعامة فإن العكس لا يحدث أبدًا؛ فإذا كانت الفتاة مسموح لها لغةً أن تخاطب رفيقاتها بـ(أصدقاء / guys)، فإن الأولاد من المستحيل أن يخاطبوا رفقائهم بـ(صديقات / gals)، فتلك الأخيرة لا تستخدم إلا مع البنات فقط، حتى أن الفتاة لا تستطيع أن تطلق (صديقات / gals) على مجموعة من الفتيات فيهن ذكر واحد، بينما الفتى قد يقول لصديقه / لصديقته / لأصدقائه / لصديقاته: صديق / guys. والشكل التالي يوضح مدى التشابه الاستعمالي بين (صديق) العربية و(guys) الإنكليزية:



(شكل رقم: 3)

بيد أن أبرز مثال يضرب كدليل على التحيز الاستعمالي في هذا المستوى هو استخدام كلمة (man / رجل) الإنكليزية لتدل على البشر جميعًا، سواء جاء استعمالها مفردًا (man)، أم مركبًا (مثل: mankind, human)؛ وما يحدث في الإنكليزية نراه يتكرر في الفرنسية، حيث كلمة (homme / رجل)، والتي تستخدم أيضًا لتدل على الجنس البشري عمومًا؛ ونفس الأمر في الألمانية، فكلمة (mensch / رجل) تساوي كلمة إنسان / شخص؛ على أننا لا نعدم هذه الظاهرة في اللغات السامية، ففي العربية كلمة (امرؤ) تساوي كلمة (رجل)، إلا أنها قد تستعمل لتعم الجنس البشري كله، ذكورًا وإناثًا، مثل قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَـدَاه ﴾ [النبأ: 40]، ومعلوم أن الرجل والمرأة سينظران يوم القيامة لما قدمت أيديهما، وليس الرجل وحده مَن سينظر، وعليه فكلمة (المرء) في الآية تساوي (الإنسان)، ومن ذلك أيضًا قوله ﷺ: "**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**" (الترمذي 558/4)، وهنا نجد النبي ﷺ يقصد الإنسان عمومًا لا الرجل فقط، بيد أنه قد ورد ما هو أوضح من ذلك، فقد استدل أصحاب المعاجم على هذا الاستعمال العام لكلمة (امرؤ) بقول امرأة من العرب: "**أنا امرؤ لا أخبر السر**" (الجوهري 1979:72)، وهذا يوضح الوعي العام بأن الكلمة عند الإطلاق فهي تعني الإنسان؛ هذا وقد نجد نفس الظاهرة في اللغة العبرية فكلمة (אדם / آدم) تستخدم بمعنى الرجل والإنسان، فهي تشير للذكر والأنثى على حد سواء، فلك أن تقول في العبرية: היא אדם טוב = هي إنسانة جيدة.

وفي هذا المستوى أيضًا نجد أن المفردات التي تُعيَّن للمرأة تبدأ بمحتوى إيجابي أو على الأقل محتوى طبيعي، غير أنه مع الوقت تكتسب هذه المفردات إيحاءات سلبية، ثم غالبًا ما يستقر بها الحال لتصبح إساءات جنسية؛ فأصل كلمة (الخَريع) في العربية يعني اللين والرخاوة، ومنه الخروع، فهو نبات لين، ومنه أيضًا الشفة الخريع، أي اللينة، ثم استُعيرت الكلمة للمرأة، لتعني المرأة الناعمة اللينة، لكنها ما لبثت أن انتهت إلى معنى العاهر الفاجرة[(10)]؛ ومثلها كلمة (القَحبة)، فكانت في أصلها تعني المرأة المسن العجوز، والتي تقحب / تسعل نتيجة داء في الجوف، لكنها صارت بمعنى المرأة الفاجرة، والتي تسعل وتتحنح ترمز به إلى الفُجر (الفيروزآبادي 1998:123)؛ وكلمة (قحبة) ما زالت تستعمل إلى وقتنا هذا كسبٍّ شنيع للمرأة؛ وفي الإنكليزية نجد هذه الظواهر تتكرر، فكلمة (tart) – مثلًا – دخلت إلى الإنكليزية عام (1400) من الكلمة الفرنسية (tarte)، وكانت اسمًا لنوعٍ من الفطائر المحشوة بالسكر، لكننا نجد الكلمة في منتصف القرن التاسع عشر أصبحت تقال إلى البنت الصغيرة على أنه لون من التودد والتلطف، مثلها في ذلك مثل كلمات (honey,sweetie…)، لكن استقر بها الحال أن صارت بمعنى العاهر (Mills 1989:5-243). إن تحول الكلمات الدالة على المرأة من معانٍ محايدة أو إيجابية إلى معانٍ سلبية أو إهانات جنسية أكد عليه ولفرد فانك Wilfred Funk (1950)، وذلك حين وجد أن العديد من الكلمات التي تشير إلى المرأة تبدأ بدلالات إيجابية، أو على أقل تقدير حيادية، لكنها ما تلبث أن تكتسب دلالة سلبية، وفي بعض الأحيان تصبح إهانات بالغة، مثل كلمة (courtsan) فقد كانت تعني في البداية: امرأة عضو في المحكمة، ثم صارت تعني (مومس)؛ وحتى كلمة (whore / عاهر) قد أتت من أصل هند-أوربي بمعنى (dear / عزيزتي)، لكن انظر إلى معناها الآن! (Baron 1989:189) ولقد لوحظت هذه الممارسات أيضًا في الفرنسية، والألمانية، واليابانية، ولك أن تنظر في ذلك أعمال كل من: Sautermeister (1985) - KochsKamper (1991) - Cherry (1987)، بيد أن هذه الظاهرة لا تقف عند حد الكلمات الخاصة بالنساء وحسب، فقد لاحظ الباحثون أنه حتى أزواج الكلمات التي يطلق أحدها على الرجل والأخر على المرأة وجدوا أن الكلمة التي تطلق على المرأة ما تلبس أن تكتسب دلالات سيئة، مثل: (master/mistress) في الإنكليزية، فعلى الرغم من أصلهما الدال على معنى السيادة إلا أن الكلمة الخاصة بالمرأة صارت الآن بمعنى العشيقة لرجل متزوج، وهنا يصبح السؤال: لماذا تتحول الكلمات الدالة على المرأة – وحدها تقريبًا – إلى إيحاءات / إساءات جنسية؟ لعل السبب هو أن الرجل دائمًا ما يفكر في المرأة بشكل جنسي، لذا فأي مصطلح يطلق على

المرأة يكتسب معنىً جنسيًّا، ولاحظ الفرق بين الجملتين: He is a professional / She is a professional، فجملة الرجل تعني أنه محترف في عمله، أما جملة المرأة فتعني أنها محترفة العهر، ولعل ما يؤكد تلك الرؤية – أعني رؤية الرجل للمرأة بشكل جنسي – المثال التي قدمته شولتز(Schultz 1990:48)، وهما المصطلحان (female – woman / أنثى – امرأة)، واللذان رُفضا في بعض المراحل التاريخية، والسبب أنهما كان يشيران إلى (mistresses or prestitutes / العشيقات أو العاهرات)؛ ولقد وجدت شولتز في بحثها أكثر من ألف كلمة تشير إلى المرأة بطرق جنسية مهينة، وذلك في مقابل القليل جدًّا من الكلمات الجنسية التي تطلق على الرجال.

4.3 التحيز على المستوى النحوي

4.3.1 الأصل هو المذكر

الأصل عند النحويين التذكير لا التأنيث، لذا كانت أهم المقولات النحوية المتحيزة لصالح الذكر هي اعتبار المذكر أصل والمؤنث فرع؛ قال سيبويه (ت: 180هـ): "الأشياء كلها أصلها التذكير، ثم تختص بعد، فالتذكير أول، وهو أشد تمكنًا" (سيبويه 1989: 241/3)، وتابعه على ذلك أئمة اللغة والنحو، ومنهم أبو علي الفارسي (ت: 377هـ) الذي قال: "أصل الأسماء التذكير، والتأنيث ثانٍ له" (ابن سيده 1996: 55/5)، وقال ابن جني (ت: 392هـ): "متى أشكلت عليك كلمة مذكرة هي أم مؤنثة فذكّرها، لأن التذكير هو الأصل، والتأنيث فرع" (ابن جني 1985: 12/1)، وكرر كثيرون مثل تلك الأقوال، كـ"ابن سيده" (ت: 458هـ) في مخصصه ومحكمه، والسيوطي (ت: 911هـ) في همعه (329/3) ؛ ولقد استدلوا على تلك القاعدة بقول سيبويه أيضًا: "إن كل مؤنث شيء، والشيء يذكّر، إذًا يصبح التذكير أول"؛ والحق أن هذه الأقوال من نحاة العربية تشبه – إلى حد بعيد – أقوال نحاة الإنكليزية، ومن ذلك ما قاله ويلسن Wilson (1553) "دعنا نتبع نظام الطبيعة، ونجعل المصطلح المذكر يسبق المصطلح المؤنث" (Wilson 1560:189)، وعلل له بول Pool (1646) ذلك بقوله: "وهناك سبب واحد وراء ذلك، وهو أن المذكر أكثر قيمة من المؤنث" (Pool 1646:21)، وقول ويلسن "نتبع نظام الطبيعة" يوازي أقوال نحاة العربية من أن المذكر أصل والمؤنث ثان له.

وقد ترتب على كون المذكر أصلًا عدد من الظواهر اللغوية منها:

- لأن المذكر أصل فقد استغنى عن العلامة، ولأن المؤنث فرع فقد افتقر إليها (المرادي 2008: 1353/3)
- تعليل منع صرف العلم المؤنث وصرف العلم المذكر، وذلك لأن المذكر أخف من المؤنث، لأن المذكر أول وأشد تمكُّنًا، والتنوين علامة للأمكن عندهم، والأخف عليهم؛ أما المؤنث فهو فرع، والفرع ثقيل، لذا تركوا تنوينه، فترك التنوين علامة على ما يستثقلونه؛ والتعريف مثل المؤنث فرع، إذًا فهو ثقيل، فلما اجتمع فرعان لم ينصرفا لثقلهما؛ هذا في حين أن المذكر أصل / خفيف، وقد اجتمع مع فرع / ثقيل، لذا نراه قد صرف:

المذكر (أصل / خفيف) + التعريف (فرع / ثقيل) ← يصرف.

المؤنث (فرع / ثقيل) + التعريف (فرع / ثقيل) ← يمنع من الصرف.

- من قبيح الضرورة تأنيث المذكر، لأنه خروج عن أصل إلى فرع، وإنما المستجاز من ذلك هو رد التأنيث إلى التذكير، لأنه رد فرع إلى الأصل.
- حين يجتمع مذكر ومؤنث جُعل الكلام على التذكير لأنه الأصل (المبرد 1994: 180/2)، فنقول: الأبوان (للأب والأم)، القمران (للشمس والقمر)، الآذانان (للآذان والإقامة)، الفراتان (لدجلة والفرات)؛ ونقول أيضًا: هذا حادي عشر إذا كن عشر نسوة معهن رجل واحد، لأن المذكر يغلب المؤنث؛ هذه هي القاعدة، لكن من الحق إثبات أن هناك أمثلة قد شذت عن القاعدة سالفة الذكر، فقد وردت استعمالات في العربية غُلِّبت فيها الأنثى، ولا تُغلَّب الأنثى – عادةً[11] – إلا إذا كانت أصلًا، أو لعلة؛ ومن ذلك تغليب الليالي على الأيام، فالليالي هي الأصل كما قال أبو علي الفارسي (ت: 377هـ): "اعلم أن الأيام والليالي إذا اجتمعت غلب التأنيث على التذكير، وذلك لأن ابتداء الأيام بالليالي، وكذلك الأشهر تبدأ برؤية الهلال، والهلال يُرى في الليل، فتصير الليلة مع اليوم الذي بعدها يومًا في حساب الشهر" (المخصص 203/5)، والليلة سابقة اليوم، ومن هنا علمنا أن الأصل هي الليالي لا الأيام؛ ومن أمثلة تغليب المؤنث أيضًا قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ [النور: 4]، وهنا نرى أنه قد غلّب المذكر في الرمي حيث قال: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ ﴾، وغلب المؤنث / الْمُحْصَنَاتِ في المرميّ، وكان ذلك لعلة، وهي خصوص الواقعة، فقد كان عبد الله بن أُبَي بن سلول ومن حوله من المنافقين هم الرامون (الطبري 2000: 119/19)، وكانت عائشة هي المرمية؛ وربما كان ذلك لعلة أخرى، وهي أن قذف النساء من قِبل الرجال أغلب،

وأشنع، وأشد جرمًا، فكلنا يعلم أن رمي الرجل بالزنا لا يساوي في ضرره رمي المرأة به، فضرر الرمي على المرأة أشد من ضرره على الرجل.

والحق أن تغليب المذكر على اعتبار أنه الأصل لا يقتصر على العربية وحدها، فنحن نرى هذا التغليب يتكرر في لغات عدة من أسرات لغوية مختلفة؛ فلك أن تعلم أن صيغ الجمع في الفرنسية، والألمانية، والإسبانية تستخدم الجمع المذكر لتشير إلى الجماعات التي تضم رجالًا ونساءً لا رجالًا فقط (Wardhaugh 2015:316)

- اشتقاق الكثير من الأسماء المؤنثة من أصل مذكر؛ وهذا أيضًا لا يقف عند حد العربية فقط، فهو ينطبق على كثير من اللغات، منها العبرية، الإنكليزية، الفرنسية، الألمانية؛ والكلمات التالية مؤنثات جميعها، وقد تم اشتقاقها من أصول مذكرة: ملكة / אשה (أيشه) = امرأة / lioness / la princesse / [poetess] dichterin؛ وعند حدوث هذا الاشتقاق يظل الشكل الذكوري كامنًا داخل الصيغة، وهذا بدوره يثبت أن الأصل هو التذكير، وأن التأنيث اشتُق منه.

هذا، وقد يصل الأمر – في بعض الحالات – إلى إطلاق الاسم المذكر بتمامه على الأنثى دون اشتقاق أو تغيير، وذلك مثل الكلمة الفرنسية (Ministre / وزير)، والتي لا تقبل سوى أداة التعريف المذكرة (le)، وعليه فلا تأنيث لهذه الكلمة نحويًّا(12)، لذا تم تأنيثها مؤخرًا عن طريق سابقة لغوية هي كلمة (madame / سيدة)، وعليه نقول الآن للوزيرة: Madame le Ministre، وعلى الرغم من غرابتها – حتى بالنسبة للفرنسيين – إلا أنه لا يوجد سبيل آخر، وذلك لأن جمل من نوعية (le ministre est enceinte = الوزير حامل) أحدثت غموضًا دلاليًّا وسوء فهم كبير.

والحق أن الدراسات الحديثة أثبتت أن هناك ميلًا عامًا لاعتبار التذكير أصلًا، ولقد وُجِد هذا الميل عند تحليل سلوك الأطفال في المحادثات، فقد وُجِد أن الأطفال يستخدمون للإشارة إلى أنفسهم صيغ مذكرة بنسبة تصل إلى (88%)، وعندما يقوم الأطفال بتجسيد ألعابهم فإنهم يستخدمون الصيغ المذكرة لا المؤنثة، فمثلًا هم يسمون القطار (Mister Train)، ويسمون الأشكال المختلفة من مساراته (Mister Turny) و(Mister Downhill)؛ وحتى الألعاب التي تكون على شكل حيوانات فهم يسمونها بصيغ مذكرة؛ كما أنهم يستخدمون الصيغ المذكرة لأسماء الوظائف (مثل: fireman)؛ أضف إلى ذلك أن الأولاد والبنات يشيرون لبعضهم البعض بصيغ ذكورية كما رأينا في كلمة (guys) (Weatherall 2002:15).

4.3.2 تخصيص جمع للمذكر دون المؤنث

معلوم أن العربية تخصص جمع للمذكر أطلق عليه في القديم والحديث "جمع المذكر السالم"، وكان من شروط هذا الجمع أن لا يدخله إلا المذكر الحقيقي، العاقل، الخالي من علامة التأنيث؛ وعليه فلا يُجمع كل من: (طلحة – حصان – بيت) جمعًا سالمًا، وذلك على الرغم من تذكيرهم جميعًا؛ ولا يُعترض على هذه الشروط بالملحقات كـ(عالمين – سنين – بنين – عشرين ... وغيرها)، وذلك لأن هذه الملحقات كلمات شاذة قد وردت سماعًا، وأُلحِقت بجمع المذكر السالم وليست منه بالحقيقة؛ فـ(عالمون) – مثلًا – هي جمع عالَم، وهناك اختلاف بين معنى الكلمة في حالة المفرد وبين معناها في حالة الجمع، فالمفرد اسم يشمل المذكر، والمؤنث، والعاقل، وغير العاقل؛ لكنها عندما تصير جمعًا لا تدل إلا على المذكر العاقل فقط، وعليه فهي في حالة الجمع تدل على معنى خاص بالنسبة لما يندرج تحت مفردها، والخاص لا يكون جمعًا للعام، وعلى ذلك فكلمة (عالمون) إما أن تكون اسم جمع لكلمة عالم، وإما أن تكون جمعًا له ولكن غير أصيل(13)، وقد غُلّب فيه المذكر العاقل على غيره، وفي هذه الحالة لا تكون جمعًا مذكرًا سالمًا في الحقيقة. أما بنون، وسنون، وأرضون ... إلخ فهي جموع تكسير في الحقيقة، لأنه قد تغيرت صورتها في المفرد عن الجمع، وعليه يصير تعريف جمع التكسير هو التعريف الوحيد الذي ينطبق عليها، لكنها ألحقت بجمع المذكر السالم لتشبهها به من حيث الإعراب بالحروف؛ أما ألفاظ العقود فهي أسماء جمع، وليست جمع لشيء في الحقيقة، وألحقت بجمع المذكر السالم لنفس العلة السابقة.

الخلاصة أن هناك جمع خاص بالمذكر في العربية، ولهذا الجمع شروط صارمة حتى لا يدخله غير المذكر الحقيقي العاقل دون غيره. هذا من ناحية المذكر، فإن جئنا لناحية المؤنث نجد أن العربية لا تخصص جمعًا خاصًا به، وما يعرف بجمع المؤنث السالم هو في الحقيقة ليس جمعًا خاصًا بالمؤنث، لذا سماه القدماء "الجمع بالألف والتاء المزيدتين"، قال ابن مالك (ت: 672هـ) في ألفيته:

وما بتا وألف قد جمعا ... يكسر في الجر وفي النصب معا

ولعل المبرد (ت: 285هـ) كان أقدم من أشار إلى ذلك، حين وضع باب في مقتضبه بعنوان (باب ما كان من جمع المؤنث بالألف والتاء) وهذا يعني أن جمع المؤنث لا يختص بالألف والتاء، ولا الألف والتاء تختص به، والحق أن تسمية هذا الجمع بـ"الجمع بألف وتاء مزيدتين" أدق من تسميته بـ"المؤنث السالم"، فتخصيصه بـ"المؤنث"

لا يصح، وذلك لأنه يدخله المذكر كما يدخله المؤنث (مثل: حيوانات، نباتات، اصطبلات، سرادقات، تصرفات، واجبات ... إلخ)، وكلها جموع تقوم على مفرد مذكر؛ كما أن تخصيصه بـ"السالم" لا يستقيم، لأنه يسلم في وقت (مثل: هند / هندات)، ولا يسلم في آخر (مثل: تمْرة / تمَرات، سُعدى / سُعديات، لمياء / لمياوات)؛ وعلى النقيض من المذكر السالم الذي لا يدخله إلا كل مذكر عاقل نجد أن هذا الجمع يدخله المذكر والمؤنث، العاقل وغير العاقل، وعليه تكون التسمية الحقيقية لهذا الشكل من الجموع "الجمع بألف وتاء مزيدتين"، وقلنا "مزيدتين" ليخرج من تحته ما كان نحو (قضاة)، فإن ألفها غير زائدة، بل منقلبة عن أصل هو الياء؛ وليخرج منه أيضًا ما كان نحو (أبيات)، لأن تاءه أصلية، لا زائدة؛ وعليه فالمراد من الألف والتاء أن تكون زائدة، وأن تكون سببًا في دلالته على الجمع (مثل: هندات)، فنحترز بذلك عن نحو (قضاة وأبيات)، فكل واحدة منها جمع ملتبس بالألف والتاء، ولكن ليس مما نحن فيه، لأن دلالة كل واحدة منها على الجمع ليس بالألف والتاء وإنما هو بالصيغة (ابن عقيل 1985: 73/1، ابن هشام 1979: 68/1، السيوطي 83/1)

4.3.3 تحيز التركيب

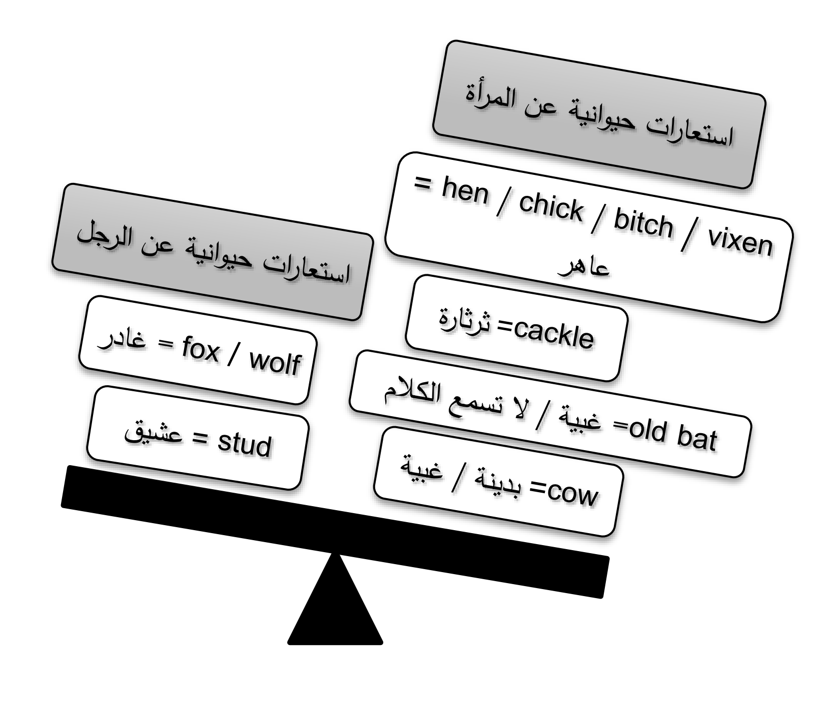
يرى كثير من اللغويين المحدثين أن التركيب النحوي للغة ما ربما يعكس حركة التفكير عند المتكلمين بهذه اللغة، ولما كانت معظم المجتمعات تفضل الذكور على الإناث وتتعامل مع الرجل – ولو بشكل غير واع – على أنه أكثر قيمة من المرأة فقد ظهرت هذه النظرة الدونية للمرأة في صيغ وتراكيب لغوية، منها: أن معظم الثنائيات المعطوفة تبدأ بذكر الرجل، فنقول: رجل وامرأة / ملك وملكة / أخ وأخت / أب وأم / قيس وليلى / الصفا والمروة / brother and sister / frere et soeur / king and queen / Romeo and Juliet، وورد في القرآن: ﴿ مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى ﴾[14] [الحجرات: 13] ﴿ المُؤمِنُونَ وَالمُؤمِنَاتُ ﴾ [التوبة: 71] ﴿ السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ ﴾ [المائدة: 38] ﴿ إِنَّ المُسلِمِينَ وَالمُسلِمَاتِ وَالمُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَاتِ وَالقَانِتِينَ وَالقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالخَاشِعِينَ وَالخَاشِعَاتِ وَالمُتَصَدِّقِينَ وَالمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالحَافِظِينَ فُرُوجَهُم وَالحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَغفِرَةً وَأَجرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 35] ولم يخرج القرآن عن هذا النمط إلا لعلة، مثل قوله ﷻ ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾ [النور: 2] والعلة أن المرأة هنا هي مفتاح جريمة الزنا ومادته، ولولا تمكينها له لم

يقع الزنا، ولا يعترض هنا بحالات الاغتصاب، وذلك لأنها في حكم الإسلام ليس زنا، والمستكرهة غير زانية، لذا لا تجلد على إثره المرأة (الماوردي 1994: 7/164، ابن عبد البر 2000: 7/146)

ولقد سارت هذه التراكيب بالموازاة مع حركة المفكرين باللغة حتى ثبتت وتأكدت، وصار كل من يخرج عليها يتعرض لانتقادات من النساء قبل الرجال، فلقد اعترضت نازك الملائكة على الشاعر علي محمود طه عندما عَنوَن قصيدته بـ (هي وهو) وقالت: "الترتيب العربي أن يقول: "هو وهي" لأن التقديم عندنا لضمير المذكر على المؤنث، وما من ضرورة لتغيير هذا الأسلوب" (الملائكة 1965:190)

4.4 التحيز على مستوى الدلالة

إن كثيرًا من باحثات الحركة النسوية قد ادعين أن اللغة الإنكليزية لغة متحيزة جنسيًّا لصالح الذكور(15)، وقلن أن أوضح شيء في هذا الصدد هي منطقة الدلالة، ففي الاستعارات الإنكليزية نجد أن عددًا كبيرًا منها يصف المرأة بشكل مهين، وهذه الاستعارات تفوق نظيرتها المستخدمة لوصف الرجل؛ فتصوير المرأة بالحيوانات – مثلًا – أكبر بكثير من نظيره الخاص بالرجل، وخاصة الصور السلبية منها، فنحن نرى في الإنكليزية تصوير المرأة بالدجاجة (chick / hen)، والاستعارتان السابقتان لهما دلالة جنسية، فـ(hen) استعارة بمعني عاهر، و(chick) استعارة بعني امرأة مثيرة جنسيًّا؛ كما يتم تصويرها بـ (الكلبة / bitch) لتعطي معنى العاهر أيضًا (Holmes 2013:325) (Mills 2008:57) ؛ والشكل التالي يقارن بين الاستعارات الحيوانية التي تقدم عن المرأة ونظيرتها التي تقدم عن الرجل:



(شكل رقم: 4)

والملاحظ أن التشبيهات الحيوانية للذكور غالبًا ما تكون إيجابية المحتوى؛ فهي إما أن تشير للصحة والقوة الجسدية (مثل: stud = خيل السباق)، أو حتى إلى الذكاء العقلي (مثل fox[16] = ثعلب أو wolf = ذئب)، هذا في حين أن التشبيهات الحيوانية للنساء ضعيفة ومغلوبة على أمرها، كـ (cow = البقرة / hen = الدجاجة / bitch = الكلبة) وأغلبها يملك إيحاءات جنسية. والحق أن ما يحدث في الإنكليزية على هذا المستوى قد وُجد نظيره عندنا في العربية، فنحن نستعير للرجل (الأسد – الصقر – الذئب – الثعلب – الفهد – الكلب – الحمار – البغل – الجمل ... إلخ)، أما المرأة فنستعير لها (الحية – اللبؤة – البقرة – الجاموسة – النعجة – الريم – اليمامة – الفراشة – البطة ... إلخ)، وكالعادة فدائمًا ما نستعير للمرأة الأضعف، وحتى عندما وصفناها بأنثى الأسد كان لذلك دلالة سلبية للغاية، على الرغم من أن المستعار – وهي اللبؤة – لا يشبه دلالة المستعار إليه في الحقيقة؛ ولما وصفت المرأة بالحية لم تشر هذه الاستعارة للذكاء – كما هو الحال مع الثعلب عند الرجل – بقدر ما تشير إلى الغدر، والتلوي، والسم، والضرر.

وإذا كان الرجل والمرأة قد يستعار إليهما تشبيهات حيوانية فإن المرأة تتفوق على الرجل من ناحية تشبيهها ببعض صور الأطعمة، فالمرأة قد يستعار إليها: السكر، العسل، الثريد، الحلوى، البيض[17] ... إلخ، كما نجد في الإنكليزية: sweetie, honey, tart ...etc، وكلها – عربية وإنكليزية – تشير إلى المرأة من الناحية الجنسية،

لأنه لا تشابه بين المرأة والطعام إلا في الشهوة التي يثيرانها في الرجل. هذا من ناحية المرأة، أما من ناحية الرجل فهو لا يوصف بأي طعام تقريبًا، وقد يكون ذلك لأنه لا يوجد وصف مناسب من الأطعمة يلائم الرجل، أو لأن الرجل ليس مثيرًا لشهوة المرأة كما هو الحال بالنسبة لإثارة المرأة لشهوة الرجل، فقد رأى الرجل في المرأة شيئًا يشبه ما يراه في شهوة الطعام، لذا استعار لها منه ما يلائمها، أما العكس فلم يحدث، وعدم حدوثه لا يرجع لكون المرأة لا تشتهي الرجل بل لأن المرأة ليست بجرأة الرجل حتى تتحدث عنه وعن شهوتها فيه بهذه الطريقة.

ولو دققنا في جميع ما سبق لرأينا أن الاستعارات المهينة الموجهة للمرأة دائمًا ما ترتبط بالجنس: (tart,chick,hen,bitch,vixen، لبؤة، سكر، عسل، ثريد، بيض)؛ أو ترتبط بالجسد والمظهر الخارجي (مثل: cow,dog[18]، بقرة، نعجة، جاموسة، ريم، يمامة، بطة)؛ أو ترتبط بثرثرتها وعدم امتثالها للأوامر (مثل: old bat[19], cackle)؛ هذا في حين أن الاستعارات المهينة الموجهة للرجل لا تركز على الجنس، أو على المظهر الخارجي، أو الثرثرة، وإنما تركز على الغباء فقط (مثل: حمار، ثور، بغل)، وإن كان بعضها قد يستعار ليعطي معنى القوة والقدرة الكبيرة على التحمل.

5. تحييد اللغة

بدأ تناول قضية اللغة المتحيزة جنسيًّا منذ عام (1960) بنقاشٍ شديد من قِبل الدوائر النسوية، وبدأ الاهتمام بتغيير اللغة التي تتحيز ضد المرأة وتقلل من شأنها، فبدأت المناظرات النسوية بمحاولة تغيير طريقة تقديم المرأة في اللغة، وفي الخطاب الإعلاني، وفي الصحف والمجلات، وكذلك طريقة تسمية المرأة في النصوص والتفاعلات الاجتماعية (Mills 2008:1) ؛ وكان من أوائل الذين نادوا باللغة المحايدة ألما جراهم .Graham, A حين كتبت مقالًا عام (1973) بعنوان: "إنتاج معجم محايد The Making of a non-sexiest dictionary"، وكان المقال مكونًا من ثلاثة أجزاء، الأول: كان وصفًا لتنوع التحيز اللغوي لصالح الذكر في مواد القراءة المقدمة لأطفال المدارس؛ الثاني: كان تمثيلًا لتحيز الإنكليزية جنسانيًّا؛ الثالث: كان وصفًا لمعجم جديد، هو "معجم مدرسة التراث الأمريكي المحايد Non-Sexiest American Heritage school Dictionary"، وكان جهد الباحثة منصبًا حول تخفيض غزارة ظهور الكلمات التي تشير إلى الرجل، فقد وجدت أن أغلب المادة المقدمة للأطفال في الكتب تشير إلى الرجال أو الأولاد، سواء كانت الأشارة باللفظ أو بالضمير أو بالأعمال التي يقوم بها

الرجال، لذا جاء المعجم خدمةً للطلاب من أجل تجنب أي تفضيل لجنس على آخر، فلقد عرّفت الكلمات في المعجم دون إظهار أي تحيز لجنس معين، فمثلًا عرفت كلمة (youth)[20] / شباب) بأنه وقت يقع قبل البلوغ adulthood، وهنا نراها استخدمت البلوغ adulthood بدلًا من manhood / الرجولة، والتي كانت مستخدمة في المعاجم الأخرى؛ وعندما كانت تشير إلى البشر كانت تستخدم (human being)[21] بدلًا من (man أو men)؛ كما استخدمت (person / شخص) بدلًا من (man)، واستخدمت (they)[22] بدلًا من (he) (Graham 1975:57). وأيدتها جان ساندرلاند Sunderland, Jane (1985) في استخدام (they) بدلًا من (he)، لكنها ما لبثت أن أيدت أيضًا من قال باستخدام (s/he) بدلًا من (he) في كتابها "النحو الشامل للغة الإنكليزية The Comprehensive Grammar of the English language" (Sunderland 2006:15).

ومن بعد ألما جراهم وُضعت مؤلفات رائدة في الكشف عن التحيز الجنساني في اللغة والرغبة في تغييره، ومن هذه المؤلفات: Lakoff (1975); Spender (1980); Nelson et al (1977)؛ لقد أصبحت هذه المؤلفات المراجع الرئيسية، والتي يشار إليها دائمًا في المؤلفات الغربية عند وصف التحيز الجنساني في اللغة الإنكليزية؛ بيد أن الأمر لا يقف عند حد الإنكليزية فحسب، فقد تمت دراسات في بلدان مختلفة وقد كشفت عن مثل هذا التحيز في نظام لغتها، منها: Yaguello (1978) في الفرنسية، Troemel−Ploetz (1978) في الألمانية، Garcia (1977) في الإسبانية؛ ومؤخرًا دُرس هذا التحيز الجنساني في الصينية، الإيطالية، اليابانية، الأيسلندية، البولندية، التايوانية، وانظر في ذلك الأعمال التالية: Hellinger and Bussman (2001) Pauwels (1998)؛ ولعله من نافلة القول أن نؤكد على أنه لا توجد لغة متحيزة كما ادعى هؤلاء الباحثون، فليس ثمة لغة تتحيز وأخرى تحايد، ولكن ثمة متحدثًا متحيزًا، فكثير من باحثات الإنكليز بمجرد أن وجدن استعمالات لكلمات من مثل: (he / man) لتدل على البشر جميعًا رحن يقلن بتحيز اللغة الإنكليزية، وتابعهن على ذلك الباحثون والباحثات من اللغات الأخرى؛ والحق أن المشكلة ليست في اللغة بقدر ما هي في عقلية المستخدم لها، والذي يرى أن الرجل هو الأصل، وأن المرأة استثناء، لذا جاءت لغته مطاوعة لما يحدث في عقله؛ وعليه فإن أردنا أن نغير هذا الشكل المتحيز فعلينا بتغيير العقلية أولًا، ومن ثَمّ تتغير اللغة من تلقاء نفسها، دون الحاجة لدعوات إلى ذلك، لكن هذا ما لم يفعله الباحثون، فعندما وجدوا هذه الاستعمالات رأوها تحيزًا من اللغة، من ثمّ اقترحوا موقف الـ"لا−انحياز" no-win situation، وعليه تمت الدعوة إلى تحييد اللغة لا تحييد الخطاب،

وكان الأولى بهم الدعوة لتحييد هذا الأخير. والتالي بعض المقترحات المقدمة من أجل الوصول إلى تحييد اللغة كما ارتأى الباحثون:

- ناقشت بعض الباحثات أن الكلمات التي تحدد الجنس ليس ضروريًّا من أن تظهر المرأة كتكملة[23]، ومن هنا جاء اقتراح البعض بضرورة وضع كلمات تدل على المرأة كنظيرتها التي تدل على الرجل، فنضع Americaness في مقابل American؛ وهو الأمر الذي قام به هنري فاولر Fowler, H. (1926م) في معجمه للإنكليزية المستخدمة حديثاً Dictionary of Modern English Usage، فقد أطلق الرجل مسميات خاصة بالنساء في مقابل مسميات الرجال (مثل: editress, doctress) في مقابل (editor, doctor)؛ ومن الحق أن العربية لا تعاني من هذه المشكلة إلا بمقدار، فعندنا (الطبيب والطبيبة / الكاتب والكاتبة / المصري والمصرية)، وإن قيل أن بعض الكلمات في العربية لن تسير على هذا المنوال إلا بتبعية الأنثى (مثل: أنثى الفيل)، نقول بأن لغتنا قد تجعل الذكر تابعًا في بعض الأوقات أيضًا (مثل: ذكر النعامة)، على أن اللغة العربية قد خصصت كلمة مستقلة لأنثى الفيل وهي العَيثوم (ابن دريد ص: 50)، كما خصصت الظليم لذكر النعام (السيوطي 1998: 2/196)، وعلى ذلك تكون العربية عادلة إلى حدٍّ بعيد.
- اقترح البعض استبدال بعض الكلمات المتحيزة ذكوريًّا بكلمات أخرى محايدة، مثل: استبدال woman بـ womyn، واستبدال chairman بـ chairperson؛ لكن في بعض الأحيان يكون الجهد المبذول من أجل تحييد بعض الكلمات سببًا في حدوث العكس مما هو مراد، فكثير من الكلمات التي أضيفت إليها اللاحقة (person) بدلًا من (man) من أجل تحييدها أصبحت تستخدم للإشارة إلى المرأة، لذا وجدنا الكاتب الصحفي روي كوبرود Copperud, R. (1980) يقول: "عندما أسمع كلمة chairperson أعلم أن هناك امرأة ستمسك بالكرسي" (Baron 1989:192).
- هناك لغات لا تُعرِّف المرأة إلا بتابعيتها للرجل، فإن لم تكن متزوجة يقال لها (Miss)، وإن تزوجت قيل لها (Mrs)[24]، ولتفادي هذه التبعية تم تقديم كلمة (Ms) عام (1970) في بريطانيا والولايات المتحدة، من أجل إعطاء المرأة اختيار أن تقدم نفسها بعيدًا عن زواجها من عدمه؛ إلا أن هناك عدة مشكلات بالنسبة للكلمة المقترحة (Ms)، فمن ناحية النطق: كيف ستنطق تلك الكلمة؟ هل سيكون نطقها هو (Mis)؟ أم (Miz)؟ أم (em es)؟ أضف لمشكلة النطق مشكلة أخرى، وهي أنه على الرغم من استخدام الكلمة من قِبل باحثات الحركة

النسوية في بريطانيا وأمريكا على نحو واسع، وعلى الرغم من أنها متاحة كاختيار في بعض الأشكال الرسمية، غير أنها بالنسبة لكثير من الناس ليست سوى لقب تستخدمه المطلقات، أو السحاقيات، أو كارهات الرجال، أو نساء يعشن مع رجال دون زواج؛ أضف لكل ذلك أن الكلمة عندما تستخدم في وسائل الأعلام الغربية فهي مثار للسخرية بشكل كبير (Mills 2008:64)؛ والحق أن العربية لا تفرق بين المرأة المتزوجة وغير المتزوجة، فلا تضع لقبًا مخصصًا لهذه أو لتلك، غير أنه – متابعة للغرب – تم استحداث لقب (آنسة) ليصلح أن يكون ترجمة لكلمة (Miss)، على الرغم من أن (آنسة) في أصل العربية لا تعني امرأة غير متزوجة، وإنما تعني: مستأنسة، يقال: جارية آنسة أي طيبة النفس، طيبة الحديث كما قال النابغة الجعدي: **بآنسة غير أنس القِراف** ... (الزبيدي 413/15)، لكن أدخلها مجمع اللغة العربية بالقاهرة حديثًا بمعنى الفتاة التي لم تتزوج (المعجم الوسيط 29/1)، ولكن إن امتلكت العربية – الآن – كلمة توازي كلمة (Miss) فهي ما زالت لا تملك كلمة توازي (Mrs)، اللهم إلا أن يقال (سيدة)، غير أنها صيغة رسمية غير مرتبطة بزواج المرأة من عدمه، فهي تقال وتكتب في النصوص الرسمية بغض النظر عن حالة المرأة الاجتماعية؛ والصواب أن العربية لا تملك ما يعادل هذا التقليد الغربي، ولا داعي لامتلاكه، لأن الغرب الذي يمتلكه يهرب منه الآن.

وعلى الرغم من كل تلك الجهود لاحظ بعض الباحثين الداعين لاستعمال لغة محايدة أن هذا التغير اللغوي الذي ننشده هو مرتبط أشد الارتباط بالتغير الاجتماعي؛ والحق معهم، فالتغير اللغوي والتغير الاجتماعي مرتبطان يدًا بيد، ولا يمكن تحقيق أي تغير لغوي دون إحداث تغيير في الحالة الاجتماعية للمرأة، فعليها أن تحقق استقلال اجتماعي كبير قبل أن تطالب باستقلال لغوي من تابعيتها للرجل؛ فنحن لم نسم رجل الشرطة، رجل الأطفاء، الطيار، الرئيس، العضو، الوكيل، الوصي ... إلخ بهذه الأسماء إلا لأننا لم نكن نرى هذه المهن إلا في الرجال، فالعامل الاجتماعي هو من دفعنا لذلك، لا تحيزنا لصالح الذكورة، وإذا أردنا أن نغير هذا النمط اللغوي لا بد من تغير الواقع الاجتماعي أولًا، فالواقع هو من يغير اللغة لا العكس، والدليل على ذلك هو المثال التالي: ففي الإسبانية تأتي اللاحقة (sta–) محايدة، فلا يتحدد بها نوع الكلمة ذكر أم أنثى، فنقول: un arti<u>sta</u> = فنان، una arti<u>sta</u> = فنانة، ووقتها الذي يحدد جنس الكلمة هي أداة التعريف (un–una)، لكننا وجدنا أن كلمة (modista) والتي تعني مصمم / مصممة أزياء، وهي بهذا الشكل محايدة، ولن تفرق بين الذكر والأنثى إلا عن طريق أداة التعريف، أقول وجدنا أن هذه الكلمة المحايدة لم يرض بها الرجال في إسبانيا، فاستخدموا مع أداة

التعريف المذكرة لاحقة ذكورية واضحة، فقالوا: (un modisto)، وذلك من أجل التفريق بينهم وبين الخياطات، وصانعات فساتين النساء، ومن ثَمّ استقرت الكلمة المذكرة على هذا الشكل، بل وارتبطت بكبار صانعي الأزياء هناك، ومن ثَمّ كانت المفارقة، فبعض مصممات الأزياء أخذن يشرن لأنفسهن الآن بـ (una modisto) (لفظ مذكر + أداة تعريف مؤنثة)، وذلك لتأكيد مكانتهن الأعلى في هذا المجال (Mills 2008:16)، وعليه فهل هذا تحيز لغوي لصالح الذكر؟ أم أنه واقع اجتماعي عكسه الخطاب اللغوي؟ لقد صارت كلمة (modisto) المذكرة هي التي تطلق على الذكور والإناث معًا، وتفرق أداة التعريف وحدها بين المذكر والمؤنث؛ والآن نرى كيف غيّر الواقعُ الفعلي الواقعَ اللغوي، فلولا ارتباط الكلمة المذكرة بواقع فعلي وسمعة كبيرة ما لجأ الناس رجالًا ونساءً لاستعمالها، أما مجرد تغيير الكلمات في النصوص وعلى الورق فلن يغني عنا شيئًا، فالبنى اللغوية مجرد مرآة للبنى الاجتماعية. لكن من الحق أن نقول: إن كان هناك بنى اجتماعية تحيزت لصالح الذكر فيما مضى، ومن ثَمّ جاءت البنى اللغوية انعكاسًا لهذا التحيز، فلا يوجد الآن ما يبرر استمرار هذا التحيز اللغوي، لأن البنى المجتمعية التي بُني عليها هذا التحيز قد تغيرت، وعليه فلا بد من أن تعمل البنى اللغوية على إظهار هذا التغير، لأنه من الظلم أن تبقى هذه البنى اللغوية متحيزة على الرغم من أن أبنيتها الاجتماعية لم تعد موجودة، وبالتالي يجب البدء في استعمال وحدات لغوية جديدة مثل: (الشرطي) بدلًا من (رجل الشرطة). لكن – وحتى نكون منصفين – يجب أن نؤكد على أن الحياد المطلق أمر مستحيل، لأن هناك كلمات ستواصل مسلسل الاصطلاح الخاص بالنساء دون الرجال أو العكس، فمن الصعب إيجاد الاصطلاحات التي تغطي الطرفين معًا دون تمييز، فهناك اصطلاحات ذكورية محضة من الصعب تحييدها، أو إيجاد واحدًا خاصًّا بالنساء (مثل: البواب / الطيار / الجزار ... إلخ)، وهذا ليس تحيزًا بقدر ما هو واقع معيش، فهناك مهن لا يعملها سوى الرجال تقريبًا.

أخيرًا إن اللغة ليست بطبيعتها عنصرية، أو من صنع الرجل بالمعنى الذي قصدته باحثات النسوية؛ فاللغة كنظام تخدم في الأساس منتج ومفسر الخطاب، وهذا الخطاب ليس هو اللغة، لذا كان من الواجب على الباحثات التركيز على الخطاب لا على اللغة، ولكن قبل أن نغير الخطاب لا بد وأن نغير الواقع.

6. النتائج

1. لا تسير اللغات على نهج واحد في تصنيفاتها للجنس، فهناك من يلتزم بالثنائية (ذكر/أنثى)، وهناك من يزيد في تصنيفه (المحايد)، وعلى الرغم من ذلك، فقد لوحظ أن اللغات التي خفضت نظامها التصنيفي عبر الزمن من ثلاثي إلى ثنائي، حتى تصل إلى مرحلة اللاتصنيف، مثل: اللغة التركية التي لا تفرق في نظامها اللغوي بين الذكر والأنثى، أقول إذا فقدت اللغة هذا النظام التصنيفي القائم على الجنس فإنها لا ترجع إليه مرة أخرى.
2. لا يتطابق الجنس النحوي مع الجنس الطبيعي إلا فيما ندر، فهناك العديد من الألفاظ المؤنثة في اللغات عمومًا ولا منطق وراء تأنيثها سوى الاعتباطية؛ لذا تضطرب اللغات في تأنيث وتذكير الكلمات، فالمذكر في لغة قد تجده مؤنث في أخرى والعكس صحيح.
3. اللغة لا تتحيز جنسيًّا من حيث هي لغة، وإنما الاستعمال اللغوي هو الذي يتحيز لصالح الذكر، ويظهر المرأة بشكل مهين من خلال استعمال كلمة أو جملة أو خطاب كامل.
4. يتم هذا التحيز على مستوى الضمير عندما نستخدم ضمير الجمع المذكر في العربية للدلالة على الإنسان بشكل عام.
5. يتم التحيز على مستوى المفردات عندما نجد مفردة مذكرة تطلق على الجنسين مثل كلمة (صديق) التي تطلق على الذكر والأنثى، بينما العكس غير ممكن، وكذلك كلمة (امرؤ) التي تطلق على البشر عمومًا، ومثلها (Man) في الإنكليزية، و(Mensch) في الألمانية، وفي ذلك اعتبار أن الأصل هو الرجل والمرأة استثناء.
6. كثيرًا ما نلاحظ أن الكلمات التي تعيّن للمرأة تبدأ بمحتوى إيجابي، أو على أقل تقدير محتوى عادي، لكنها مع الوقت تكتسب دلالات سلبية، تصبح مع الوقت إساءات جنسية، مثل (القحبة) في العربية.
7. تتحيز اللغة على المستوى النحوي عندما يرى علماؤها أن الأصل هو المذكر، والمؤنث فرع منه، ولا يقف الأمر هنا على النحو العربي، بل إن المقعّدين الإنكليز أخذوا بذلك أيضًا، وكان من نتيجة ذلك تغليب المذكر على المؤنث إذا اجتمعا في جملة واحدة، وكذلك اشتقاق كثير من

الأسماء المؤنثة من أصل مذكر، بل قد يصل الأمر لإطلاق الاسم المذكر على الأنثى دون تغيير، ومن هنا نستنتج أن هناك ميلًا عامًّا لاعتبار التذكير هو الأصل.

8. من مستويات التحيز النحوية أن خصصت العربية جمع خاص بالمذكر دون المؤنث، وقد أسمته (جمع المذكر السالم) الذي لا يدخله إلا ذكر، حقيقي، عاقل، خالي من علامة التأنيث.

9. لما كان التركيب النحوي للغة يعكس حركة التفكير لدى متكلمي هذه اللغة، ولما كانت معظم اللغات تميل لتفضيل الذكور على الإناث، فقد ظهرت هذه النظرة الدونية للمرأة في صيغ تركيبية تقدم الذكر دائمًا على الأنثى فنقول: رجل وامرأة، أخ وأخت، ولد وبنت، أب وأم ... إلخ

10. على مستوى الدلالة نجد أن هناك عددًا كبيرًا من الاستعارات تصف المرأة بشكل مهين، وتلك الاستعارات أضعاف نظيرتها التي تصف الرجال، فكثير ما نمثل المرأة بالحيوانات الضعيفة، أو التي لها إيحاء جنسي، على النقيض من الاستعارات الذكورية التي تدل على القوة والصحة والذكاء، كما أننا كثير ما نصور المرأة بالأطعمة، خاصة الحلوى منها، وهذا بلا شك له علاقة بتأثير المرأة في نفس الرجل من ناحية الشهوة.

11. منذ ستينات القرن الماضي والباحثون يناقشون مسألة التحيز اللغوي وضرورة تحييد اللغة، ومن ثم وضع آليات تحفظ للمرأة مكانتها المساوية للرجل داخل الخطاب اللغوي، فراحوا يعدّلون بعض الكلمات هنا وهناك، وكذلك بعض الصيغ والتراكيب النحوية المتحيزة، لكن ما فاتهم أن اللغة لا تتحيز من تلقاء نفسها، إنما يتحيز متحدث اللغة، لذا فإن أردنا تحييد اللغة فعلينا أولًا تغيير عقلية المتحدث الذي يرى أن الرجل هو الأصل، ثانيًا لا بد وأن نغير وضعية المرأة داخل المجتمع، لأنه إن لم يتغير وضع المرأة التابع ستظل مرتسمة داخل الأذهان بوضعها الحالي، ومن ثم لا جدوى من تغيير لبضع كلمات.

المراجع

ابن الأنباري (عبد الرحمن بن محمد، أبو البركات كمال الدين، ت:577هـ). (1970). ***البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث***. تحقيق: د. رمضان عبد التواب. القاهرة: وزارة الثقافة.

ابن التستري (سعيد بن إبراهيم الكاتب، ت:361هـ). (1983). ***المذكر والمؤنث***. تحقيق: د. أحمد عبد المجيد هريدي، القاهرة: مكتبة الخانجي. ط(1)

ابن جني (أبو الفتح عثمان، ت: 392هـ) (1985). ***سر صناعة الإعراب***. تحقيق: د. حسن هنداوي، دمشق: دار القلم. ط(1)

ابن جني (أبو الفتح عثمان). (1988). ***الألفاظ المهموزة وعقود الهمز***. تحقيق: مازن المبارك، دمشق: دار الفكر. ط(1)

ابن حجر (أوس). (1980). ***الديوان***. تحقيق: د. محمد يوسف نجم، بيروت، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.

ابن دريد (محمد بن الحسن أبو بكر، ت: 321هـ). ***الاشتقاق***. تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي. ط(3)

ابن سيده (علي بن إسماعيل أبو الحسن الأندلسي، ت: 458هـ). (1996). ***المخصص***. تحقيق: خليل إبراهيم جفال، بيروت: دار إحياء التراث العربي

ابن سيده (علي بن إسماعيل). (2000). ***المحكم والمحيط الأعظم***. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية

ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله أبو عمر، ت: 338هـ). (2000). ***الاستذكار***. تحقيق: سالم محمد عطا – محمد علي معوض، بيروت: دار الكتب العلمية. ط(1)

ابن عطية (جرير). (1986). ***الديوان***. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر

ابن عقيل (عبد الله المصري بهاء الدين الهمذاني، ت: 769هـ). (1985). ***شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك***. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دمشق: دار الفكر. ط2

ابن منظور (محمد بن مكرم الإفريقي المصري، ت:711هـ). ***لسان العرب***. بيروت: دار صادر. ط(1)

ابن هشام (جمال الدين بن يوسف أبو محمد، ت: 761هـ). (1979). ***أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك***، بيروت: دار الجيل. ط(5)

الترمذي (محمد بن عيسى، ت:279هـ). ***الجامع الصحيح***. تحقيق: د. أحمد شاكر وآخرون، بيروت: دار إحياء التراث العربي. حديث رقم (2318)

الجوهري (إسماعيل بن حماد ت: 398هـ تقريبًا). (1979). ***الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية***. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين. ط(2)

الزبيدي (محمد بن محمد مرتضى ت: 1205هـ). ***تاج العروس من جواهر القاموس***. تحقيق: مجموعة محققين، مصر: دار الهداية

سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، ت: 180هـ). (1988). ***الكتاب***. تحقيق: عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي

السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، ت: 911هـ). ***همع الهوامع في شرح جمع الجوامع***. تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي. القاهرة: المكتبة التوفيقية

السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر). (1998). ***المزهر في علوم اللغة***، تحقيق: فؤاد علي منصور، بيروت: دار الكتب العلمية. ط(1)

الطبري (محمد بن جرير أبو جعفر، ت: 310هـ). (2000). **جامع *البيان في تأويل القرآن***. تحقيق: د. أحمد شاكر. دمشق: مؤسسة الرسالة. ط(1)

عبد التواب (د. رمضان). (1970). **مقدمة تحقيق: البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث**. القاهرة: وزارة الثقافة (مركز تحقيق التراث)

عمر (د. أحمد مختار). (1996). ***اللغة واختلاف الجنسين***. القاهرة: عالم الكتب، ط(1)

الفيروزآبادي (محمد بن يعقوب مجد الدين، ت:817هـ). (1998). ***القاموس المحيط***. دمشق: مؤسسة الرسالة، ط(6)

الفيومي (أحمد بن محمد بن علي المقري، ت: 770هـ). ***المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي***. بيروت: المكتبة العلمية

المبرد (محمد بن يزيد أبو العباس، ت: 285هـ). (1994). ***المقتضب***. تحقيق: أ.د. محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة: وزارة الأوقاف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط(3)

المرادي (حسن بن قاسم بن عبد الله، بدر الدين المالكي، ت: 749هـ). (2008). ***توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك***. تحقيق: د. عبد الرحمن علي سليمان، بيروت: دار الفكر العربي، ط(1)

مسكويه (أحمد بن محمد بن يعقوب، أبو علي الرازي الأصبهاني، ت:421هـ). (2001). ***سؤالات أبي حيان التوحيدي لأبي علي مسكويه***. تحقيق: سيد كسروي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(1)

مصطفى (إبراهيم)، **الزيات** (أحمد)، **عبد القادر** (حامد)، **النجار** (محمد). ***المعجم الوسيط***. تحقيق: مجمع اللغة العربية، القاهرة: دار الدعوة.

الملائكة (نازك). (1965). ***محاضرات عن علي محمود طه***، القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية (معهد البحوث والدراسات العربية حاليًا)

الماوردي (علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، ت: 450هـ). (1994). ***الحاوي في فقه الشافعي***، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(1)

النحاس (أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو جعفر، ت: 338هـ). (1988). ***إعراب القرآن***. تحقيق: د. زهير غازي زاهد، بيروت: عالم الكتب

هدسن Hudson (ريتشارد أنتوني). (1990). ***علم اللغة الاجتماعي***. ترجمة: د. محمود عياد، القاهرة: عالم الكتب، ط(2)

Adler. M K (1978). ***Sex differences in human speech****: A Sociolinguistic study*. Hamburg: Helmut Buske Verlag. P. 1

Baron, Dennis (1989). ***Declining Grammar and other essays on the English vocabulary***. USA: National Council of Teachers of English

Cherry, K. (1987). ***Woman's Words****: what Japanese words say about women*? Tokyo: Kodansha International.

Coates, Jennifer (2013): ***Women, Men and Language****: a sociolinguistics account of Gender Differences in language*. 3rd ed. London and New York: Routledge

Eckert, Penelope and **McConnell-Ginet**, Sally (2003): Language and Gender. Cambridge: Cambridge University Press.

Garcia, Meseguer A. (1977). ***Lenguajey y discriminacion sexual*** [language and sex discrimination]. Madrid: Editorial Cuadernos Para el Dialogo, S.A. Edicusa

Graham, Alma (1975). ***The Making of a non-sexiest dictionary***. Pp. 57-63. In (**Thorne**, B and **Henley**, N 1975); and in (**Sunderland** 2006:235)

Hellinger, Marlis and **Bussmann**, Hadumod (eds.) (2001). ***Gender across languages****: The linguistic representation of women and men*. Amsterdam: John Benjamins

Holmes, Janet (2013). ***An Introduction to Sociolinguistics***. 4th ed. London: Routledge

Kirby, John (1746). ***A New English Grammer***. Scolar Press. Menston: Yorks (1971). P. 117. And in (**Coates** 2013:16)

KochsKamper, Birgit (1991). ***Language history as a history of male language policy***: *The History of German Mensch, Frau, Mann, Madchen, Junge, Dime* [Human, Woman, Man, Girl, Boy]… and Indo-European Cognates. Working Papers on language, gender and sexism. 1(2): 5-17

Lakoff, Robin (1975). ***Language and Woman's Place***. New York: Harper & Row puplishers

Mills, Sara (2008). ***Language and Sexism***. Cambridge: Cambridge University Press. P.10

Mills, Sara (1989). ***Women Words***. London: longman. Pp. 5-243

Nilson A P, **Bosmajian** H, **Gershuny** H L, and **Stanley** J P (eds.) (1977). ***Sexism and Language***. Urbana, IL: National Council of Teachers of English

Pauwels, Anne (1998). ***Women changing language***. London: longman

Penalosa, Fernando (1981). ***Introduction to Sociology of language***. Rowley, MA: Newbury.

Pool (1646:21), cited in **Bodine** (1975:134)

Sautermeister, Christine (1985). ***La Femme devant La Langue*** [The Woman befor language]. Pp. 63-97. In ***Frauenthemen im fremdsprachenunterricht*** [Women's topics in foreign language teaching. Working papers]. Arbeitsberichte 3. Hamburg: University of Hamburg. Zentrales Fremdspracheninstitut

Schultz, Majken (1990). ***The semantic dergation of women***. Pp. 48-134. In **Cameron**, D (Ed.). ***The feminist critique of language***: *A Reader*. 1st ed. London: Routledge. And in **Mills** 2008:61

Shute, Sarah (1981). ***Sexiest language and Sexism***. Pp. 23-33. In **Vetterling-Braggin**, Mary (Ed.). ***Sexiest language***: *A Modern philosophical analysis*. Totowa, NJ: little field adama

Spender, Dale (1980). ***Man made language***. London: Longman

Sunderland, Jane (Ed.) (2006). ***Language and Gender***: *an advanced resource book*. London and New York: Routledge

Troemel-Ploetz, Sentan (1978). ***Linguistik und Frauensprache*** [linguistics and women's language]. Linguistische Berichte. 57:49-68

Thorne, Barrie and **Henley**, Nancy (Eds.) (1975): ***Language and Sex**: Difference and Dominance*. Rowley, MA: Newburry House

Wardhaugh, Ronald and **Fuller**, Janet M. (2015). ***An Introduction to Sociolinguistics***. 7th ed. UK: Wiley Blackwell

Weatherall, Ann (2002). ***Gender, Language and Discourse***. London and New York: Routledge

Wilson (1560:189), cited in **Bodine**, Ann (1975). ***Androcentrism in prescriptive grammar**: singular 'they', sex-indefinite 'he' and 'he or she'*. Language in Society 4: 129-146. And in Eckert, P and MacConnel-Ginte, S (2003:34)

Xiaoping, Y. (2008). ***Gender-Specific Asymmetries in Chinese language***. MP: An online feminist journal, 2 (1):31-41

Yaguello, Marina (1978). ***Les Mots el les femmes*** [Words and Women]. Paris: Payot.

الهوامش

---

(1) مثل اللغة التركية.

(2) هناك كلمات، وأدوات، وضمائر في العربية لا تتقيد بجنس محدد، وإنما تصلح للجنسين، ومن الممكن أن تسمى هذه الكلمات بالمحايد مثل: أنا / نحن / أنتما / هما / مَن / ما / عجوز / صبور ... إلخ.

(3) من الحق أن الكسرة ارتبطت في كثير من اللغات بمعنى التأنيث، فالغالبية العظمى من الكلمات الألمانية المنتهية بـ (e–) مؤنثة. وانظر في ذلك: اللغة واختلاف الجنسين ص: 54، وكذلك الحال في الفرنسية التي تشتق المؤنث من المذكر من خلال اللاحقة (e–) مثل: avocate ← avocat، une ← un

(4) قد ألف في المذكر والمؤنث الكثير من العلماء منهم: الفراء (207هـ)، القاسم بن سلام (224هـ)، أبي حاتم السجستاني (250هـ)، المبرد (286هـ)، الزجاج (311هـ)، ابن خالويه (370هـ)، ابن جني (392هـ).

(5) ولا نراه كذلك، لأن النفس ليس معناها الإنسان، وإنما هي شيء يركّب فيه؛ كما أنها ليست خاصة بالإنسان حتى يصبح هو معناها أو حتى مرادفًا لها، فالنفس تركّب في الحيوان أيضًا.

(6) الفيلم: الضخم من الرجال، والمرأة واسعة الجهاز / الفرج.

(7) Professional: إذا أطلقت على الرجل صارت وصفًا له بأنه محترف / متخصص في عمله، أما إذا وصفت بها المرأة صارت تعني أنها عاهر محترف.

(8) هذا هو الأدق، وذلك لأن اللغة كلغة لا تتحيز من تلقاء نفسها، وإنما منتج اللغة هو الذي يستعملها ويصوغها بشكل متحيز.

(9) خاطب الله ﷻ المؤمنين بهذه الصيغة المذكرة ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (182) مرة على مدار القرآن كله، وكان أغلبها – إن لم تكن كلها تقريبًا – بمعنى يتضمن الرجال والنساء.

(10) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، مرجع سابق (137/1)؛ وانظر أيضًا: ابن فارس (أحمد أبو الحسين الرازي، ت: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الفكر (1399هـ/1979م) (170/2)

(11) أقول عادة لا دائمًا، لأن هناك أمثلة غُلِّبت فيها الأنثى لا لكونها أصلًا، وليس لعلة ظاهرة مثل: المروتان (الصفا والمروة).

(12) Wardhaugh 2015:316، وهذا بدوره يشبه – إلى حد ما – قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الرابعة والأربعين حين صرح بجواز وصف المؤنث بالتذكير، ليقال فلانة أستاذ / عضو / رئيس، وقد استندوا في ذلك لما نقله ابن السكيت (ت: 244هـ) عن الفراء (ت: 207هـ) من أن العرب تقول: عامِلُنا امرأة، أميرنا امرأة، فلانة وصيّ. بيد أن الفارق بين العربية والفرنسية في ذلك أن العربية إذا كانت تجيز (أستاذ) للمرأة فهي أيضًا تجيز (أستاذة) لها، أما الفرنسية فلا تسمح بسابقة مؤنثة لكلمة Ministre أبدًا. (قرار المجمع عند: الغذامي (د.عبدالله)، اللغة والمرأة، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط3 (2006م) ص: 20؛ وكلام الفراء بالمصباح المنير، 23/1)

(13) الأصيل منه هو جمع التكسير (عوالم).

(14) وقد وردت في سور أخرى ﴿ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ ﴾ [آل عمران: 195؛ النساء: 124؛ النحل: 97؛ غافر: 40]

(15) والحق أن هذا غريب منهن، فاللغة – كأداة / كمجموعة من العناصر التي تستخدم للتواصل بين الناس – لا تتحيز، فليس ثمة لغة متحيزة، وإنما هناك متحدث متحيز، وذلك لأن اللغة لا تُنتج من تلقاء نفسها، وإنما هناك من يصوغها بشكل متحيز أو بشكل محايد.

(16) بينما كلمة fox / ثعلب تطلق على الرجل لتوحي بالذكاء والمكر نجد أن vixen / أنثى الثعلب تطلق على المرأة بمعنى العاهر أو امرأة سليطة اللسان. (merriam-webster.com)

(17) قال تعالى ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٌ مَّكۡنُونٌ﴾ [الصافات: 49]

(18) عندما تطلق على المرأة فهي تعني أنها امرأة قبيحة. (Britishslang.co.uk)

(19) تطلق على المرأة بمعنى أنها كثيرة الكلام ولا تمتثل للأوامر. (thefreedictionary.com)

(20) كثير من المعاجم قديمًا كانت تعرف هذه الكلمة بقولها: the part of life between childhood and manhood / مرحلة من الحياة تقع بين الطفولة والرجولة. ولو كان الأمر كذلك لما وصلت الفتاة إلى هذه المرحلة أبدًا. (see: yourdictionary.com)

[21] الحق أن استخدامها لـ human لم يغير شيئًا، فما زالت الكلمة محتفظة بأصالة الذكورة من خلال اللاحقة man.

[22] الحق أن الضمير (they) لا يستطيع أن يحل محل الضمير (he) عندما يستخدم بشكل عام في كل السياقات، ففي بعض السياقات إن استُبدل الضمير (he) المفرد بـ(they) الجمع فسد المعنى، ولاحظ المثال التالي: (anyone who knows what he says…)، فكيف في المثال السابق أضع (they) بدلًا من (he) دون تغيير المعنى وفساد الدلالة التي أردتُها، هذا من ناحية المعنى والدلالة، أما من ناحية النحو فما هو وضع الفعل عندما أستخدم ضمير الجمع؟ هل سيتغير ويصبح say؟ أم سيظل مفردًا says؟ فإن صار جمعًا تغير المعنى تمامًا، وإن ظل مفردًا فسيصبح لدينا اثنان من الضمير (they)، أحدهما يدل على المفرد، والآخر يدل على الجمع، وحينئذ سيسمى هذا الضمير الذي يحل محل (he) بـ (singular they).

[23] يعنون بذلك أن توضع كلمة (woman) كتكملة لبعض الكلمات حتى يشار إلى المرأة؛ ففي الإنكليزية نقول في نسبة الرجل لبلد معين - أمريكا مثلًا -: (American)، لكن لننسب المرأة لنفس البلد لا بد من أن نقول American woman.

[24] هذا لا يقتصر على الإنكليزية وحدها، وإنما يوجد أيضًا في الفرنسية حيث (Mademoiselle – Madame)، والإسبانية حيث (Senorita - Senora)؛ لكننا اقتصرنا على الإنكليزية لأن الحل المقدم خاص بها.